مجلة الليبي

The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات الإعلامية بمجلس النواب

السنة الرابعة العدد 45 / سبتمبر 2022

أساطير الأرض المنسيـــة ..

الليبي
The Libyan

شهرية ثقافية تصدر عن مؤسسة الخدمات
الإعلامية بمجلس النواب الليبي

رئيس مجلس الإدارة :
خالد مصطفى الشيخي

رئيس التحرير
د. الصديق بودوارة المغربي
Editor in Chief
Alsadiq Bwdawarat

مدير التحرير:
أ. سارة الشريف

مكتب فلسطين
فراس حج محمد
مكتب الهند
علاء الدين محمد الهدوي فونتزي

شؤون إدارية ومالية
عبد الناصر مفتاح حسين
محمد سليمان الصالحين

خدمات عامة
رمضان عبد الونيس
حسين راضي

الإخراج الفني
محمد حسن الخضر
محمد حسن محمد

العنوان في ليبيا
مدينة البيضاء - الطريق الدائري الغربي

عناوين البريد الإلكتروني
libyanmagazine@gmail.com
info@libyanmagazine.com
Ads@libyanmagazine.com
http://libyanmagazine.com

شروط النشر في مجلة الليبي

توجه المقالات إلى رئيس تحرير المجلة أو مدير التحرير
تكتب المقالات باللغة العربية، وترسل على البريد الالكتروني في صورة ملف وورد word، مرفقةً بما يلي :

1. سيرة ذاتية للمؤلف أو المترجم .
2. في حالة المقالات المترجمة يُرفق النص الأصلي .
3. يُفضّل أن تكون المقالات مدعمةً بصورٍ عالية الجودة، مع ذكر مصادرها .
4. الموضوعات التي لا تُنشر لا تُعاد إلى أصحابها .
5. يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقالة، تماشياً مع سياستها التحريرية .
6. الخرائط التي تنشر في المجلة هي مجرد خرائط توضيحية لا تُعتبر مرجعاً للحدود الدولية .
7. لا يجوز إعادة النشر بأية وسيلة لأي مادة نشرتها مجلة الليبي بدايةً من عددها الأول، وحتى تاريخه، بدون موافقة خطية من رئيس التحرير، وإلا اعتبر ذلك خرقاً لقانون الملكية الفكرية .

المواد المنشورة تعبّر عن آراء كتابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، ويتحمل كاتب المقال وحده جميع التبعات المترتبة على مقالته .

صورة
الغلاف ..

منذ أكثر من 2300 عام من تاريخ صدور هذا العدد كان غرب ليبيا تحت سيطرة القرطاجيين، وكان شرقها تحت سيطرة الاغريق. اختلف الطرفان على ترسيم الحدود بينهما، فتم اللجوء إلى حل يقضي بأن يركض عداءان من كل طرف في اتجاهين متقابلين، والذي يقطع مسافة أطول ينال الحصة الأكبر من الأرض.

وصل "الأخوان فيللني" عداءا قرطاجة أولاً، قاطعين مسافة أكبر، وعندما اعترض الاغريق بحجة وجود تحايل ما اشترطوا للموافقة أن يدفن الأخوان فيلاني أحياء في نفس البقعة التي تقابل عندها الطرفان، وافق الأخوان، ودفنا عند نفس النقطة التي شيد فيها هذا القوس المهيب .

فيما بعد، وإحياءً للتاريخ، شيدت السلطات الايطالية عام 1932 م. هذا القوس بارتفاع 38 متراً، وقد وضع مصمموا هذا القوس في أعلاه تمثالين عملاقين للأخوين فلليني وهما في وضع السقوط أرضاً، وتمت كتابة عبارات تمجد روما وأيطاليا على الإفريز الأعلى له، لكن السلطات الليبية بعد الاستقلال مسحت هذه العبارات واستبدلتها بأبيات لشاعر مصري يدعى "أحمد خيري".

المؤسف أن هذا العمل الفني الرائع قد تمت ازالته بعد ذلك عام 1970 م، غير أن موضع "هيكل الأخوين فلليني" قد تم تحديده بدقة الآن ، وهو نفسه موقع تشييد هذا القوس الذي يفصل بين شرق ليبيا وغربها ، وجغرافياً يمكن تحديد موقعه إلى الجنوب من موقع " أم الغرانيق"، عند حافة الهضبة المستطيلة المعروفة باسم " جبل الرأس العالي" ، في المنطقة الجرداء المسماة "قرارة راس التراب" ، وهي منطقة تقع على بعد 290 كلم غرب مدينة بنغازي .

وليست قصة الأخوين فلليني هي الوحيدة في التاريخ الاغريقي ، بل أن هناك قصة مشابهة وقعت بين مدينتي "لامبساكوس" و"باريون" في آسيا الصغرى، حيث تم اللجوء إلى عداء من كل مدينتين يركضان في الاتجاهين المتعاكسين ليكون موقع تقابلهما هو نقطة الحدود الفاصلة .

- **الخلاصة :**

ربما تكون هذه اسطورة، ربما حدث تاريخي موثق، ولكن .. المهم هو الآتي : رحل الجميع، الاغريق، القرطاجيون، حتى القوس، وبقيت الأرض. الكائن الوحيد الذي لا يخذل أصحابه.

- **للمزيد :**

أندريه لاروند ، برقة في العصر الهللينستي، مرجع سابق، ص ص 200-202 .

الليبي The Libyan
السنة الرابعة
العدد 45
سبتمبر 2022

محتويات العدد

افتتاحية رئيس التحرير

(ص 8) علامات استفهام الرئيس ..

شـــــؤون ليبية

(ص 13) أدب الطفل في ليبيا (5)
(ص 18) على حافة الذاكرة
(ص 19) لغز المهدي السنوسي المنتظر
(ص 23) 40 عاما من العطاء

شـــــؤون عربية

(ص 26) رسالة المغرب.. المسرح يولد من جديد
(ص 32) رسالة فلسطين.. معالم سيئة
(ص 34) المدرسة لم تستيقظ بعد.

شـــــؤون عالمية

(ص 38) سندباد الجنسيات المختلفة

كتبوا ذات يوم ..

(ص 43) بدايات الصحافة الليبية

ترحـــــــال

(ص 44) خدعة مكيفات الهواء .

ترجمـــــات

((ص 47) فظاعة الشراسنة
(ص 51) رامبو في هراري « قصيدة»

محتويات العدد

إبـــــــداع

(ص 52) الكاتب والاديب عبد الحكيم عامر الطويل « حوار»
(ص 62) عن الشعر و الشعراء
(ص 64) خفايا الحس الشعري
(ص 68) المنهجية النقدية عند الدكتور نبيل طنوس
(ص 73) منوال الليبي محمد محمد يونس علي 3
(ص 78) 3 قصص تستحق القراءة « قصة قصيرة »
(ص 79) وجوه « قصة قصيرة»
(ص 80) جنة النص
(ص 82) رسالة ضد السلطة

إبـــــــداع

(ص 84) لماذا يفترق الحبيبان
(ص 86) نهاية موسيليني
(ص 92) الجذور التأريخية لشخصية الشيطان الغيبية
(ص 96) ميراث الليالي الباردة « قصيدة»

من هنا وهناك

(ص 97) قول على قول

قبل أن نفترق

(ص98) كحل العين .. محمد علي الشويهدي

الاشتراكات

* قيمة الاشتراك السنوي داخل ليبيا 96 دينار ليبي
* خارج ليبيا 36 دولار أمريكي أو ما يعادلها بالعملات الأخرى مضافا اليها أجور البريد الجوي
* ترسل قيمة الاشتراك بموجب حوالة مصرفية أو شيك بإسم مؤسسة الخدمات الإعلامية بمجلس النواب الليبي على عنوان المجلة.

ثمن النسخة

في داخل ليبيا 8 دينار ليبي للنسخة الواحدة وما يعادلها بالعملات الأخرى في باقي دول العالم

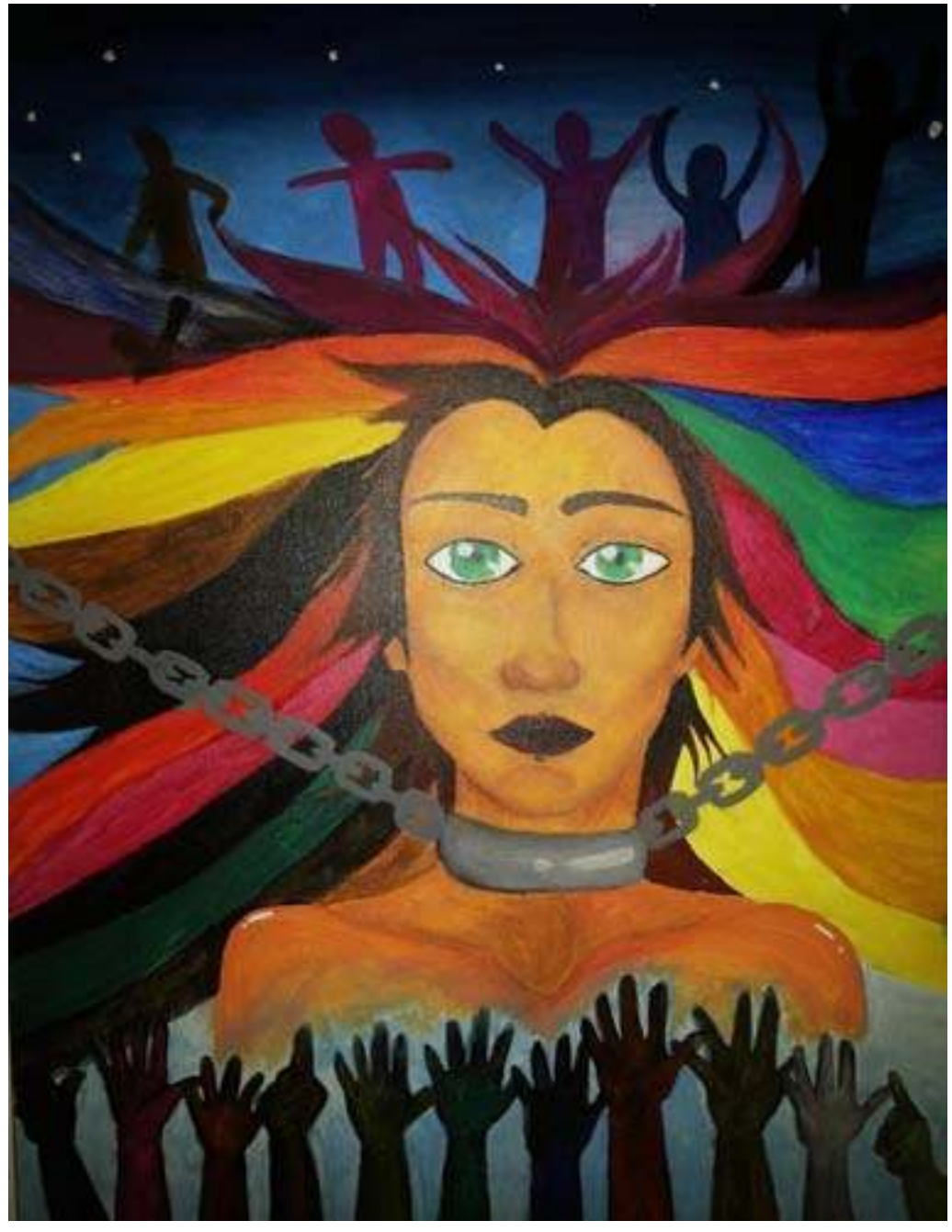

هيا بن سعود / ليبيا

مجدي أنور / مصر

علامات استفهام الرئيس..

بقلم : رئيس التحرير

((هل تجولت ساعات في متحف للأوابد القديمة حتى كلت قدماك وأنت تتحرك في بطء بين العاديات، تنظر إلى هذا وتتأمل ذاك، ثم خرجت فسألت عن ما رأيت فلم تستحضر سوى عمل واحد أو اثنين، تحدثت عنهما بحماس ونسيت ما تبقى؟

هل خطر لك أن تترنم بشيء من الشعر القديم لتكتشف أن ذاكرتك لم تقبض إلا على قصائد قليلة، وأهملت عداها، وأن لسانك يجري ببعض الأبيات تتغنى بها بين آن وآخر دون غيرها؟ هل تساءلت لماذا اعتبرت "الموناليزا" درة متاحف أوروبا، و"ربة الينبوع" درة متاحف الشرق؟ أعمال عاشت مع الانسان وستبقى أبداً، وأخرى ماتت آن الولادة، لماذا؟))

إنه العالم الفذ "فراس السواح" يطرح علامات الاستفهام الثمينة في مقدمة كتابه الرائع عن ملحمة جلجامش البابلية الشهيرة. وهو بذلك يمارس فعل استفزاز الوقائع لتدلي باعترافاتها الضرورية، لماذا حدثت؟ وكيف؟ وهل من أسرارٍ وراء قدومها المشكوك في سلامة نواياه؟

نحن نحن نحاول أن نقتفي الأثر، وإذا كان العمل الفني بكل صنوفه عملاً يستحق الاحتفاء والتبجيل إذا ما حاز على صفات معينة، أو بالمعنى المعتاد يستحق جائزةً، مهما يكن نوع هذه الجائزة، فاعتبار "الموناليزا" – حسب فراس السواح مثلاً – درة متاحف أوروبا، هو جائزة بحد ذاته، كما أن ترنمك بشيء من الشعر القديم دون غيره – حسب فراس أيضاً – هو جائزة كذلك، كل هذه علامات استثناء تمنح لأعمال تستحق الاستثناء كتتويج لجودتها، لكننا سوف نركض في هذه الافتتاحية وراء سؤال المعايير، وسوف نطرح السؤال الذي يحتاج إلى جهدٍ جماعي للاجابة عنه : هل هناك معايير متفق عليها لنمنح الأعمال الابداعية جائزةً ما؟

• لحظة اكتمال الوصول. لحظة الجائزة:

الجائزة، هي دائماً تلك اللحظة التي نتقدم فيها لنحصد محصولاً اجتهدنا في رعايته وزرعه والعناية به، ولكن، هل دائماً هي نفس المعايير التي تجعلنا نعيش تلك اللحظة التاريخية؟ أم أن هناك ما يمكن أن نقوله حيال هذا الموضوع ؟

سأبدأ بما يقوله غيري، لا بما أقوله أنا ..

الكثيرون كتبوا أن هناك مقاييس لتقديم الجوائز، وكأن هناك كائن لا يتواجد في الحقيقة معنا في ذات المكان.. لكنه .. في الحقيقة هو من يعطي الجائزة .

هناك معايير .. بكل تأكيد يأتي الشغل .. الكتابة ..

الابداع .. الفكرة .. الجرأة .. ولكن .. هل هذا كل شيء ؟ شخصياً، لا أعتقد.

• سؤال على هامش الأسئلة :

هناك ذلك الكائن الخفي. هناك كائن له أكثر من وجه .. له أكثر من الهيئة الواحدة، مثلاً هناك سؤال مفاده هل أنتِ امرأة ؟ هل أنت رجل ؟ هل أنت الذكر .. هل أنت الأنثى ؟ قال بعضهم هذا لأنه على سبيل المثال جائزة نوبل تم تقديمها لـ 822 رجلاً .. مقابل 48 امرأة. فهل الذكورة والأنوثة من أسباب معايير تقديم الجوائز ؟

• على من تتكيء أنت ؟ :

تعالوا لنقرأ عن علامة استفهام أخرى .. وعن نفس الجائزة أيضاً .. إنها تتعلق بالجامعات والمؤسسات التي تقف وراء صاحب الجائزة، إذ أنها في العادة تُعطى لخريجي الجامعات الكبيرة، الشهيرة، هارفارد مثلاً .. أوكسفورد، وهكذا .. فهل موضوع الفوز بنوبل يتكيء أيضاً على احتمال أن يتكيء صاحبها على مؤسسة ضخمة ؟

• هل أنت مجهول النسب في عالم الكتابة؟

لنتكلم الآن عن متكأ آخر ..

أو لنسأل هذا السؤال .. لماذا لم يفز "ميلان كونديرا" ؟ لماذا لم يفز "أدونيس" ؟ لماذا لم يفز "إبراهيم الكوني"؟ لماذا لم يفز "الصادق النيهوم"؟ لماذا لم

يفز "الطاهر وطار" ؟ لماذا لم يفز "يحيى حقي"؟ مع ضرورة الاشارة إلى أنه في الوقت الذي رُشح فيه القاص والروائي "يوسف إدريس" والكاتب "أنيس منصور" للفوز بنوبل كل منهما 3 مرات، كما رشح لها الأديب "توفيق الحكيم" مرة واحدة. وعلى ثقل الأسماء الثلاثة في عالم الإبداع إلا أن أحدهم لم يفز بها. كذلك الشاعر الفلسطيني "محمود درويش"، والشاعر السوري "أدونيس"، والشاعر العراقي "مظفر النواب"، والجزائرية آسيا جبار. القائمة أطول من أن يتسع لها المجال. هناك أيضاً الروائي الروسي "ليو تولستوي"، والمسرحي النرويجي "هنريك إبسن"، والساخر الكبير "مارك توين". كل هؤلاء أسماء شهيرة، نعرفها منذ عشرات السنين .. فهل من مقومات منح الجائزة أن لا يكون صاحبها اسماً معروفاً في عالم الأدب؟ هل المطلوب هو أن تحدث الجائزة ما يعرف بالصدمة ؟ أن يصدم المتابع باسم لا يعرفه ، فجأة يفوز هذا الاسم بجائزة كبيرة . لا أعرف. ولكن .. لأتابع معكم علامات الاستفهام ولنسأل معاً: هل من معايير تقديم الجوائز أن يكون في ظهرك ناشر ؟ متمكن ؟ وقوي؟ ربما. لا استطيع الخوض طويلاً في علامة الاستفهام هذه، ربما أحتاج إلى ناشر ليقدم الايضاحات.

الضجيج الاعلامي حول فوز رواية بنفس هذه اللغة المتراجعة ؟

• علامة استفهام النوايا المبيتة :

تعالو من جديد لنطالع احصائية صغيرة عن العرب الفائزين بنوبل .. على سبيل المثال :

محمد أنور السادات، ياسر عرفات، محمد البرادعي، توكل كرمان، الرباعي الراعي للحوار الوطني التونسي وهي أربعة منظمات تونسية، هناك في مجال الأدب المصري "نجيب محفوظ"، وفي الكيمياء المصري "أحمد زويل"

واضح جداً أن الأسباب سياسية نوعاً ما .. فالسياسة أعطتنا ما نسبته 90% من الجوائز والأدب لم يستطع سوى واحدة، والعلم التطبيقي أيضاً. وهذا سيجعلنا نعود من جديد إلى المعايير، وإلى السؤال عنها. تعالوا إلى سؤال الترشيحات لنجد أن "طه حسين" رُشح

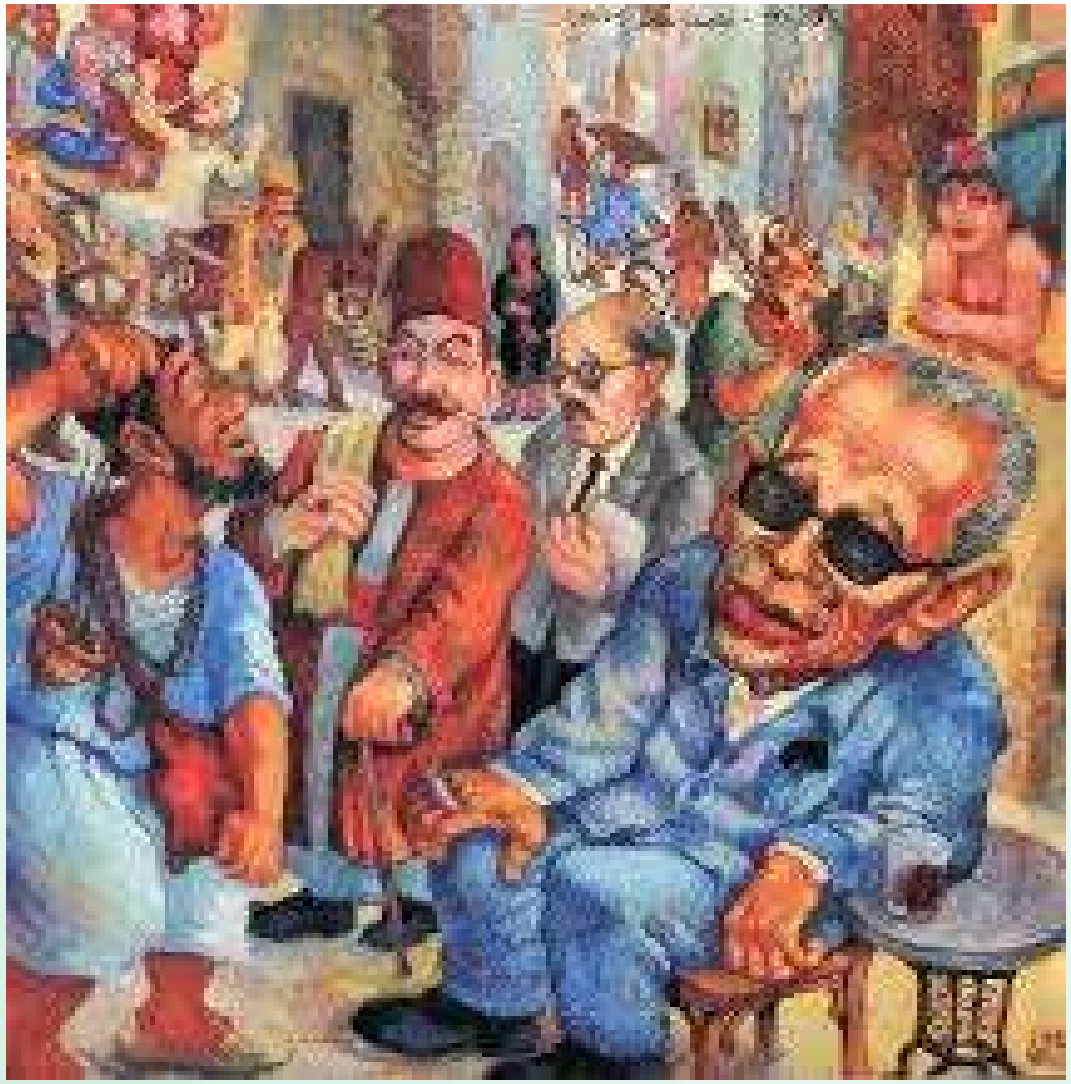

للجائزة 14 مرة .. بين أعوام 49 و 64. وهنا لابد من الانتباه إلى ما صرح به "محمد سلماوي" رئيس اتحاد كتاب مصر السابق في مذكراته عن أن طه حسين كان أقرب المرشحين للفوز في سنة 1949 . فما الذي حدث ؟

كانت اللجنة تريد تقديم الجائزة للأمريكي "وليم فوكنر" فاضطرت لتأجيل اعلان "طه حسين" فائزاً إلى العام التالي ولكن، ما الذي حدث في العام التالي ؟ العام التالي الذي هو 49 كان العام التالي لقيام "اسرائيل"، وبطبيعة الحال لم يكن من المناسب أن تمنح الجائزة لأديب عربي حتى لا يبدو وكأن نوبل تنحاز للهوية العربية ضد الصهيونية التي تحصلت أخيراً على وطن، ولو بالاغتصاب المباشر الفج .

مازلنا إذاً في علامة الاستفهام ..

في عام 1966 فاز بنوبل الكاتب اليهودي الإسرائيلي "شموئيل يوسف عجنون" الذي يناصر الصهيونية، وتتركز كتابته على الهوية اليهودية، مع الشاعرة اليهودية "نيلي زاكس" التي عمدت في أعمالها إلى

إبراز معاناة بني معتقدها الديني. فهل نوبل هي جائزة سياسية متنكرة في عباءة أدبية ؟ مثما قال احدهم ؟ ألم أقل إننا مازلنا في علامات الاستفهام؟

• علامة استفهام اللغة :

وهنا علامة أخرى، هل هي اللغة؟ وهل اللغة تمثل معياراً من المعايير؟ إن اللغة العربية ليست من اللغات المدعومة في نوبل مثلاً، هناك الفرنسية والانجليزية والالمانية والسويدية. بالاضافة إلى أن الأدب العربي هو الأقل انتشاراً تقريباً، وأقول تقريباً لأننا لا نقوم بترجمة الأدب العربي الى اللغات الأخرى، ولعل الاحصائيات توضح ذلك. ابحثو على النت وستقرأون أن ما تترجمه دولة أوربية صغيرة يساوي كل ما تترجمه الدول العربية في سنة كاملة، وهكذا، هناك الكثير من الأرقام المؤلمة بهذا الخصوص. فأحدهم أخبرنا أن مجموع الأعمال العربية المترجمة إلى لغات أجنبية لا تتجاوز 100 رواية عربية. وهذا رقم بائس جداً. نحن أيها السادة لا يقرأنا أحد خارج هذا الكهف. ولكن علينا أن لا نحزن فاللبنانية "سوسن الأبطح" تقول إن الصين أيضاً . صين الألف مليون. لم تتحصل على نوبل الا مرتين. الصين بعيدة ثقافياً عن أوربا مثلما نحن بعيدون. ونوبل مثلما أحسن في التعبير المصري "عزت القمحاوي" هواها أوربي . فما هو الحل ؟

• المحلية هي بداية العثور على جواب :

الحل هو المحلية، هو جوائز عربية، هو منظور عربي لابد من أن يتآزر مع منظور أوسطي مع منظور أسيوي، مع المنظور الأفريقي. لابد من محور أدبي هنا. فهل الحل في جائزة البوكر العربية مثلاً ؟ ربما، وهل الحل في جائزة كتارا للرواية العربية؟ ربما. وهل الحل في جائزة الشيخ زايد للكتاب؟ أم الحل في جائزة نجيب محفوظ ؟ ربما. وهل الحل في جائزة الملتقى للقصة القصيرة؟ ربما. وهل الحل في جائزة الطيب صالح العالمية؟ ربما. إن الجواب الصحيح هو أن الحل في كل هذه الجوائز معاً. وهو جواب صحيح بكل تأكيد . ولكن على أن تخلو من متلازمة نوبل المستعصية على الحل، على أن تخلو من علامات الاستفهام المعتادة . ولكن من جهة أخرى هناك علامة استفهام مميتة: هل بيئتنا العربية بشكل عام، وأعني هنا البيئة الاجتماعية، قادرة على استيعاب المنطق التعددي في الآراء والمفاهيم والحوار؟ هل هي بيئة بامكانها إنتاج مؤسسات تمنح جوائز عادلة تحترم هذه المفاهيم ؟

• علامة الاستفهام الأخيرة :

هناك علامة استفهام أخرى، ماذا عن الخاسرين؟ أولئك الذين حاولوا الفوز ولم يتمكنوا، ألا يصرحون هم بأن الجائزة ظالمة ؟ ومتحيزة؟ وهذه علامة استفهام أخرى، لماذا لا تصدر اللجان التحكيمية لهذه الجوائز بيانات واضحة وصريحة تقول فيها إنها تمنح الجائزة لاعتبارت هكذا وهكذا وهكذا. لأننا وبصراحة مازلنا لا نفهم هذه المعايير بدليل كل علامات الاستفهام هذه. هناك علامة استفهام أخرى، لماذا يختفي الكثير من الفائزين بعد حصولهم على الجائزة، وكأنهم أدوا ماعليهم وانتهى الأمر ؟ هناك علامة استفهام أخرى، وأخيرة: في مجتمعنا العربي، هل يمكن أن نتقبل رواية صادمة فنعطيها جائزة؟ مثلنا حدث مع رواية الليبي الأخيرة "خبز على طاولة العم ميلاد"، أم أننا نعطيها الجائزة ثم نتخلى عن صاحبها ليواجه الجحيم وحده بعد ذلك؟ هل راعت معايير منح الجائزة السطوة الكبيرة للممنوع والمسكوت عنه في هذا العالم الرابع المأزوم؟ أحمد الله أنها كانت علامة الاستفهام الأخيرة ولا من جواب .

(يتبع)

التاريخ ...الوسائل ... التحديات ... المعالجات ..

أدب الطفل في ليبيا (5)

امراجع السحاتي. ليبيا

كنا قد تحدثنا عن أهم وسائل نقل أدب الطفل في ليبيا، وعن أهم التحديات التي تواجه هذا النوع من الأدب، وكذلك عن نوعية القصص التي وجهت للأطفال، والآن نتابع الحديث عن بعض تلك القصص التي وجهت للطفل وأثير حولها الجدل، والتي قدمت كقصص للأطفال، وهي ذات أسلوب غير مستحب من قبل الكثير من التربويين والكتاب، إضافةً إلى التحدث عن أهم التحديات والصعوبات التي تواجه الكتابة في هذا الأدب .

في قصة "عن أحسن لص في المملكة"، ضمن من مجموعة قصص الأطفال للصادق النيهوم، نجد السرد التالي: ((من القصص غير المعقولة التي ترويها العجائز في بنغازي أنه لما مرض شيخ اللصوص وأحس بدنو الأجل جمع لصوص المملكة من أدناها إلى أقصاها حول فراشه، ودعاهم إلى قراءة الفاتحة، ثم قال لهم وهو يعبث بطرف عمامته:)(اعلموا يا أولادي أن الموت نهاية كل حي، وأنه ليس باقياً إلا وجه الله، وأنا عجوز وهن عظمه، وأحنى الدهر ظهره، بلا الدنيا بحلوها ومرها، ولم يعد يرجو منها سوى خير الثواب، وحسن المآب. وقد رأيت أن أذهب الى مكة هذا العام، وأغسل جثتي من الذنوب والآثام، قبل أن يفوتني القطار، ويقطع على الموت طريق الأبرار.))، ويضيف ((لذا قررت أن أجمعكم هنا كي تختاروا من بينكم شيخاً أقلده الأمر بعدي ويتولي منصبي.)) (1).

وفي قصة "عن مراكب السلطان" جاء في السرد والحوار التالي : ((وبقى الفقي مطرقاً لبرهة من الوقت، رفع رأسه وقال بثبات: اعلم يا مولاى أننا قرأنا في كتب السلف الصالح أن "جالو" ستخرب بعد عمار، وسوف يرسل الله عليها ريحاً حامية تجوس بها سبعة ايام وسبع ليالي، لا

تتنفس نبتة إلا ماتت في حينها.)) (2).

ويقول السرد في قصة "عن مراكب السلطان" : ((لقد هدأت الريح بعد سبعة أيام وسبع ليالي – كما قال الفقي – وخرجت "جالو" من أقصاها إلى أقصاها، ثم غفر لها الله ذنوبها وخطاياها .."(3).

وفي قصة "عن العظم وراقد الريح" نجده يسرد بأسلوب العجائز ويقول: ((يحكى، والله أعلم بغيبه واحكم، وأعز وأكرم، وألطف وأرحم، أن الشيطان كان يقف ذات يوم كعادته أمام بوابة الجحيم، ويحصي ضحاياه الجدد الذين وصلوا لتوهم من دار الدنيا. وكان يضحك ملء شدقيه ويهز ذيله القبيح العاري من الشعر صارخاً بأعلى صوته " (4).))، وفي قصة "عن النسر السحري الابيض"، يقول في سرده العجائزي: ((.. ثم كان يا ما كان. وكان ثمة فقي ذائع الصيت في جامع الحدادة، وكان يفك الرصيدة ويعلم القرآن للأطفال ويشفي من العقم وسائر الأمراض ويكتب أحجبة المحبة. وقد تبحر في علوم الأولين، واغترف من أنهار الحكمة، وعرف الأوراد السبعة وخبايا المملكة والجان ولغة الطيور وضرب الرمل " (5)، وقد عرف اللصوص أنه يملك ياقوتة، وأن الشيخ سوف يضع حول عنقه القلادة، وينصبه عليهم طوال حياته لأنه حقاً احسن لص في المملكة، ولكن اللص المدعو "الزناتي خليفة" هز لهم رأسه ثم شرع يصرخ دون أن يتوقف عن الضحك.))، ... وانهاها بالآتي : ((هذا ما تقوله العجائز في بنغازي.)) بدأ قصصه بالأسلوب العجائزي، ووفق ما تقص الخرافة والحكاية الشعبية "كان يا ما كان"، حيث نجده يقول في سرده في قصة "عن مراكب السلطان" :- " كان يا ما كان ...، وكذلك في سرده من قصة "عن أحسن لص في المملكة"، الذي يقول :- " من القصص غير المعقولة التي ترويها عجائز بنغازي ..." (6). وكذلك في السرد الذي يقول :- " هذا ما تقوله العجائز في بنغازي " (7). وفي قصة عن النسر السحري الأبيض يقول كذلك :- " ... ثم كان ما كان. وكان ثمة فقي ذائع الصيت في جامع

الحدادة وكان يفك الرصيدة ويعلم الأطفال .." (8).

وفي قصة "عن غلطة جحا" يقول في سرده كذلك :- " قيل، والله أعلم بما يقال في هذه المدينة الطويلة اللسان"(9). وفي قصة "عن قوت العيال" يقول في سرده كذلك : ((ثم كان يا ما كان، وكان رواد المقهى في الفندق القديم .." (10).

نلاحظ في هذه القصص اتباع اسلوك غير مستحب من المجتمع الذي يحدث فيه الكاتب قرائه، إضافةً إلى أنها كتبت بأسلوب فلسفي يحكي نفسية الكاتب مع مجتمعه والنظرة التى ينظر فيها لهذا المجتمع لأسباب اجتماعية تعرض لها هذا الكاتب في حياته وهي كثيرة وسيرته توضح تلك الأسباب.

ومن هنا نجد أن هناك صعوبة وتحديات في الكتابة للطفل حتى من أكبر الكتاب الذين تربعوا على الساحة الأدبية في ليبيا لعدة سنوات أمثال "الصادق النيهوم" وغيره. إذن، هناك تحديات وصعوبات تواجه أدب الطفل في ليبيا منها الآتي :-

1 – اقتحام مجال الكتابة للطفل دون دراسة مسبقة للطفل من كافة النواحي .

2 – عدم معرفة ميول الطفل الأدبي .

3 – قلة الكتاب في مجال أدب الطفل .

4 – ضعف المناهج والخطط الدراسية في الجامعات الليبية في تدريس العلوم الاجتماعية والنفسية، واعتمادها على التدريس بالطرق التقليدية .

5 – عدم اختيار الموضوعات، وإقحام الصور والرسوم المناسبة التي تجذب الطفل للكتاب، وهذا يعاني منه الكثير من أطفال العالم، حيث أشار إلى ذلك الكاتب وطبيب الأمراض النفسية اللبناني "انطوان الشرتوني" بان هناك عدة أشياء تجعل الطفل ينجذب نحو الكتاب، في مقدمتها الصورة الخارجية، وعندما تكون هذه الصورة وغيرها من الصور والرسوم داخل وخارج المطبوعة صوراً مميزة فهي تجعل الطفل ينجذب الى الكتاب(11) .

6 – عدم وجود نقاد في مجال أدب الطفل، وهذا لم يكن في ليبيا فقط، فهو مشكل تعاني منه دول عربية وغير عربية كثيرة، وفي هذا الخصوص أشار كاتب الأطفال المصري "يعقوب الشاروني" إلى أن هناك نقص وتقصير في عملية النقد لمواكبة أدب الطفل، وأشار إلى أن عدم مواكبة النقد لأدب الاطفال يؤثر سلبا على تطور وتقدم أدب الطفل، وهذا يوضح لنا أن أدب الطفل يعاني تحدياً أدبياً حقيقياً (12).

7 – عدم اختيار قصص مناسبة لعمر الطفل وفق احتياجاتهم النفسية، وما يتوافق مع ميوله العمري، وهذا طبعاً مرت به الكثير من الدول، ولاحظه الكثير من المتخصصين في أدب الطفل، وفي ذلك فإن الكاتب "انطوان الشرتوني" والذي نشر أكثر من 450 قصة وحكاية، وتخصصه العلمي في الأمراض النفسية والتحليل النفسي يقول :- ((إن بعض الكتاب للأسف يختارون قصصاً غير مناسبة لعمر الصغار، واحتياجاتهم النفسية، ومتطلبات مراحل نموهم المختلفة، والتي تختلف مع كل عتبة مرحلة جديدة، مما يجعل الأطفال يبحثون عما يناسبهم في مواضع أخرى)) (13).

8 – عدم وجود دعم للمهتمين بأدب الطفل، وقد لامسنا ذلك من خلال الجهود الفردية التي كانت مبذولة من عدد من المهتمين بالطفل، والتي تحتاج الى دعم وتشجيع، فعندما قام الاستاذ "رجب العريبي" برفع شعلة تثقيف الاطفال وتشجيع المواهب من خلال مسرح الطفل واذاعة السنابل، لم يلق تشجيعاً من الدولة رغم أنه أبرز مواهب في الإعداد والتقديم والغناء والموسيقى والتمثيل والشعر.

9 – عدم وجود دعم من الدولة لكتاب أدب الطفل، مما ساهم في عزوف الكثير من الكتاب عن الكتابة للأطفال واتجاههم الى كتابات اخرى، وفي هذا الصدد يقول الكاتب الجزائري "عبد الله لالي" : ((قلة الدعم الحكومي أو من الخواص. هذا الأمر يؤرق المبدعين ويثبط عزائمهم، ويجعلهم في كثير من الحالات ينصرفون عن الابداع في مجال أدب الطفل، وقد يتوجهون إلى مجالات أخرى ربما تلقى اهتماماً أكبر ورواجاً أكثر .))(14) .

10 – النظرة الدونية للطفل كمتلق ومستهلك للأدب وليس منتجاً له، وفي هذا تقول الكتابة التونسية "سمر سمير المرغني")): منذ طفولتي وأنا أرى معظم قصص الأطفال ساذجة، مجترة من قصص عالمية، ومملة بعض الشيء، إلى درجة أنه يمكن للطفل القارئ التكهن بأحداث القصة قبل قراءتها. أحس أن ذلك مرتبط بنظرتنا الدونية للطفل العربي كمتلق ومستهلك للأدب لا بوصفه منتجاً له وفاعلاً فيه((.(15)

11 – التدفق السريع للمعلومات الهدامة للطفل دون رقابة من وسائل التواصل الاجتماعي وما ينقل ويبث عبر الشبكة الدولية للمعلومات الانترنت .

12 – عدم وجود خطة تربوية جيدة لرياض الأطفال والمؤسسات التعليمية في المرحلة الابتدائية والاعدادية وتذبذب تقديم المعلومات دون مشاركة ذوي الاختصاص بالطفولة والشؤون الاجتماعية عموماً .

13 – إهمال المؤسسات التعليمية لحصص المكتبة وعدم توفر محتويات لها ورقية وإلكترونية .

14 – عدم تعاون المؤسسات الحكومية فيما بينها في الاهتمام بأدب الطفل خاصة التي تعنى بالشؤون الاجتماعية والثقافة والاعلام والتعليم .

15 – قلة البرامج والمؤتمرات التي تعد من أجل الطفل وما يقدم له من أدب، سواءً من خلال الشعر والقصة والمسرحية والتمثيلية والفيلم والتي تعد خصيصاً للأطفال .

16 – عدم وجود مسابقات فكرية وأدبية تخص أدب الطفل .

• رابعاً : النتائج والتوصيات :

في دراسات سابقة لعدد من المتخصصين أعطت توصيات في مجال الكتابة للطفل، حيث أوصى الكاتب الجزائري "عبد الله لالي" المتخصص في أدب الطفل إلى ضرورة أن يتفرغ الكتاب الموهوبون في أدب الطفل وضرورة تشجيع المبدعين في أدب الطفل للكتابة للطفل، وضرورة أن تقام مسابقات سنوية في مجال أدب الطفل وأن توضع إبداعاتهم ضمن المناهج الدراسية، أما الكاتبة التونسية "سمر سمير المرغني" فقد أشارت إلى أنه يتطلب التخلص من احتكارية الأدب، والتخلص من محدودية المواضيع والتطرق لمواضيع وأساليب جديدة، وأن يشمل هذا الأدب قضايا إنسانية عامة ويكسر الحدود الذهنية للأطفال، أما الكاتب "انطوان الشرتوني" فقد ركز على أهمية اللغة وتكوينات الجمل بحيث يتم استيعابها من قبل الطفل وينجذب إليها، ويضيف أن كتاب الطفل يتطلب أن يكون مسلياً ويحتوي على صور جميلة جذابة للطفل، وأن تكون الجمل قصيرة وبسيطة ذات هدف ورسالة (16).

وقد اتضح بأن وسائل أدب الطفل كانت اللبنة الأولى التي أسست موهبة الكتاب والمبدعين في ليبيا خاصة الوسائل الشفوية والمكتبات العامة، حيث نجد الكاتب "حسين المالكي" يذكر لنا في كتابه "من الذاكرة" حيث يقول في سرده الذاتي : ((وذات عصر، بينما كنت في جولة على قدمي في أحد شوارع المدينة، إذ عثرت على مكتبة بالقرب من حديقة البلدية، دلفت إليها، وجدت بعض الصبية يجلسون على الكراسي يتصفحون المجلات على الطاولات، سمير، ميكي، طرزان، سوبرمان، الوطواط، ماجد، وغيرها)) (17).

• ا- النتائج :

اضافة الى ما تقدم من معطيات فإن أهم النتائج أنه لوحظ الاتي :-

1 – عدم اهتمام الدولة بأدب الطفل اهتماماً حقيقياً، إنما ما تقدمه للطفل فهو على سبيل الدعاية لها، وبسبب الضغوط المحلية والدولية .

2 – عدم وجود كتاب متفرغين للكتابة للطفل .

3 – ضعف الانتاج المرئي والمسموع المقدم للأطفال .

4 – اعتماد الدولة الليبية على الدول الأخرى في البرامج وما يقدم للأطفال والتي تبثها على قنواتها الفضائية وقلتها .

5 – عدم وجود كتاب وشعراء متخصصين في أدب الطفل .

6 – عدم تشجيع الكتابة للطفل، وإهمال الكتاب والشعراء في هذا النوع من الأدب .

7 – عدم وجود كليات وأقسام في الجامعات الليبية متخصصة بأدب الطفل على غرار الأدب الإنساني الآخر.

8 – عدم توفر مكتبات ورقية والكترونية بمدارس التعليم الاساسي ووسائل عرض مرئي لروض ورياض الاطفال تعرض برامج كتبت خصيصاً للطفل وفق مرحلته العمرية .

9 – عدم وجود قناة تليفزيونية خاصة بالأطفال تخاطب الاطفال وفق مراحلهم السنية .

10 – عدم توفر مناهج أدبية مكتوبة خصيصاً للأطفال وفق مراحلهم العمرية ضمن مناهج المدارس في التعليم الأساسي .

• ب- التوصيات :

من خلال ما قدم من تحديات ونتائج، وما قدمه المتخصصون في دراسات سابقة، فإن الدراسة توصي بالآتي: :-

1 – ضرورة أن يتفرغ الكتاب الموهوبون في أدب الطفل للكتابة للطفل.

2 – ضرورة توظيف خريجي التكنولوجيا والمعلومات في تكوين جهاز أمن للإنترنت لمتابعة ما يمرر من معلومات عبر الشبكة الدولية للمعلومات، والتي تخص الطفل .

3 – ضرورة تشجيع الكتاب والرسامين للكتابة للطفل الليبي من خلال تقديم المساعدة المادية والمعنوية .

4 – ضرورة أن يتم اختيار الألفاظ اللغوية من أفعال ومفردات مناسبة لكل مرحلة من مراحلة الطفولة .

5 – ضرورة استحداث أقسام وكليات لأدب الطفل على غرار الآداب الانسانية الأخرى .

6 – ضرورة التزام كتاب أدب الطفل بالكتابة للطفل ووفق مراحلهم السنية المتعارف عليها علمياً .

7 – إقامة المسابقات والمؤتمرات والندوات المحلية والدولية بشان أدب الطفل .

8 – تأسيس قناة تليفزيونية خاصة بالطفل الليبي تقدم فيها برامج تهم الطفل، ويسيرها متخصصون في المجالات والموضوعات التي تطرح فيها .

9 – تشجيع المسارح التي تعنى بالطفل ومتابعتها وتقديم العون المادي والمعنوي لها .

10– وضع منهج أدبي مبسط مخصص للطفل في المراحل الأولى للتعليم الأساسي .

11 – ضرورة اشراك المتخصصين بالطفولة والشؤون الاجتماعية والنفسية بإعداد المناهج الدراسية الخاصة بالمراحل الدراسية الابتدائية والاعدادية .

12 – ضرورة إعادة حصص المكتبة وتوفير محتوياتها سواءً كانت ورقية عن طريق الكتب الورقية، أو الكترونية عن طريق الحواسيب .

13 – ضرورة تسجيل عدد من القصص والحكايات التي تعنى بأدب الطفل على أقراص لكي تقدم لذوي القدرات الخاصة، وتوفير ذلك في كتب مطبوعة للأطفال المكفوفين .

• الهوامش :

1 – الصادق النيهوم، من قصص الأطفال، المأوى – ليبيا : تالة للطباعة والنشر ، ط1، 2002م ، ص28.

2 – المرجع السابق ، ص 31.

3 – المرجع السابق ، ص14.

4 – المرجع السابق ، ص 20.

5 – المرجع السابق ، ص 49.

6 – المرجع السابق ، ص21.

7 – المرجع السابق ، ص39.

8 – المرجع السابق ، ص41.

9 – المرجع السابق ، ص59.

10 – المرجع السابق ، ص 73.

11 – "أدب الطفل العربي وتحديات المتعة"، https://www.aljazeera.net/12/3/news/cultureandart/2021 ، تاريخ الاطلاع عليه 2022/1/19.

12 – المرجع السابق .

13 – المرجع السابق .

14 – المرجع السابق .

15 – المرجع السابق .

16 – " أدب الطفل العربي وتحديات المتعة"، مرجع سابق .

17 – حسين نصيب المالكي، من الذاكرة ، منشورات مجلة المستقبل ابريل 2015 ، ص68.

على حافة الذاكرة ..

عبد المحسن البناني. ليبيا

يرجع صدور هذا الطابع الى 1968م بمناسبة انجاز جسر "وادي الكوف"، وسُمي الوادي بهذا الاسم لكثرة الكهوف به، كلمة "كهف" تُنطق باللهجة الليبية "كاف"، إنجاز هذا الجسر منذ أكثر من 50 سنة يعتبر حدثاً له وزنه من حيث التقييم المعماري في ذاك الحين، والأهم من كل ذلك أنه أُنجز في دولة طرية العود من حيث التأسيس، ولم تظهر فيها ثروة النفط إلا من سنوات قليلة، بل صاحب هذا الانجاز إنجازات أخرى لاتقل عنه أهمية مثل "المدينة الجامعية"، و "المدينة الرياضية"، وبناء مدينة "المرج" الحديثة بعد الزلزال الذي أصابها 1963م، والطريق الساحلي من الحدود شرقاً (مصر)، إلى الحدود غرباً (تونس) .

ألغاز السنوسية .. السنوسية وتكتيك تعدد الخطاب . ..

لغز المهدي السنوسي المنتظر ..

عبد اللَّه هارون. ليبيا

تعتمد السنوسية على ما يمكن تسميته بتكتيك تعدد الخطاب، فهي صوفية وليست بصوفية، وهي سنية وتشترك مع الشيعة والصوفية (كلاهما أو إحداهما) في تقديس آل البيت وتقديس الأضرحة والمقامات وحب السواد، تكتيك تعدد الخطاب يلجأ إليه عادة تحسباً لأية مفاجآت أو مآزق مستقبلية.

من هذه المشتركات مع الشيعة، الإيمان، ومن ثم الترويج للمهدي المنتظر، لا كما يؤمن به أهل السنة. «مهدي» جديد لا يعرف شيء عن جيناته، بل كما يؤمن به الشيعة، «مهدي» محدد الجينات قد ظهر من قبل (الحسن العسكري بالنسبة للشيعة)، الذي يختفي أو يحتجب – كما يقولون – انتظاراً للحظة ما، ليخف لنجدة شيعته وأحبائه، والقضاء على «السفياني» المنحدر من «هند بنت أبي عتبة»، آكلة الأكباد وزوجها «أبي سفيان». فمن هو «مهدي السنوسية» الذي احتجب وينتظر ظهوره؟ إنه محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي (1844 – 1902).

وعلى ذكر «تكتيك تعدد الخطاب»، فلعله من المفيد وللتوضيح سرد أطرف استخدام له، وكان ذلك في القرن الماضي على يد طبيب نسائي قبل التوصل إلى وسائل معرفة جنس الجنين، كان يقول لزبونته إن جنس الجنين ذكر مثلاً، ويسجل في ملفها الذي يحتفظ به أن الجنين أنثى، وعند الوضع، إذا كان المولود ذكراً ازدادت شهرته وصدق الناس مقدرته على معرفة جنس الوليد، وإذا كان العكس، وأغضب ذلك الزبونة، وشككت في مقدرته دعاها لتراجع معه ما سجل بالملف الخاص بها، فتجد أن جنس الجنين أنثى، ويتهم الزبونة في سمعها وانتباهها. وهكذا

صورة تقريبية رسمت من وصف السيد احمد الشريف للشخصه

يحقق ما يصبو إليه إن أصاب أو أخطأ، لكن المأزق حينما يكون المولود «خنثى»، أي حينما يجتمع النقيضان، أي لحظة اكتشاف تناقض الخطاب أو خنوثته.

• المهدي السنوسي المنتظر بحسب نبوءة أبيه :

تحت هذا العنوان، استفدت كثيراً مما جاء في الكتاب : (عمر المختار. الحقيقة المغيبة) للسيد يوسف عبد الهادي الحبوش(1) .. فقد أرخ وحفظ الذاكرة ولم يمنعه حبه للسنوسية من أن يكون أمينا مخلصا للحقيقة بخصوص هذا الموضوع الذي يعتبر – سنوسيا – من الموضوعات المثيرة للجدل جعل الله ذلك في ميزان حسناته.

ففي ص 431 من هذا الكتاب نقلاً عن «برقة المهدأة» ص 274 ، 294 جاء في كلام «غراتسياني» بعد احتلال «الكفرة» واصفاً حال المجاهدين في الجبل بعد علمهم باحتلال «الكفرة» التي يصفها غراتساني ساخراً بالواحة المقدسة: ((ظلوا متحجرين طبقاً لأسطورة قديمة، وأن «المهدي السنوسي» المدفون في «زاوية التاج» سرعان ما سوف يبعث ليزحف من الصحراء ويخف لنجدة المقاتلين بالجبل بجيش عرمرم.))

ويضيف «السيد يوسف» معلقاً في الهامش على كلام غراتسياني قائلاً : ((يغمز «غراتسياني» هنا إلى الاعتقاد الجازم لدى «عمر المختار» وكثير من أهالي برقة السنوسيين بفكرة عدم موت شيخهم «المهدي السنوسي» بعد، واعتقادهم بمهديته، وبمقولة مشهورة وردت عن الإمام «محمد بن علي السنوسي» تتلخص في أن أهل الجبل الأخضر الليبي سيكونون من أقوى أنصار هذا المهدي، الذي سيعود للظهور للعيان من جديد، حسب الرواية، بعد غيبة تعادل تقريباً ضعف عمره الذي عاشه قبل أن يحتجب، وسيكون هذا الظهور عقب مرور شهرين على احتلال أوروبي (فرنسي إنجليزي) جديد، يأتي بعد الاحتلال النابلتاني، وسيقتسم على أثره الفرنسيون والإنجليز ليبيا وشمال أفريقيا، ويكون فيه الحد الفاصل بينهما (مقطع الكبريت) بالعقيلة، وعلامات أخرى عديدة يذكرونها تدل على اقتراب موعد ظهوره.))

ولكن من الجدير بالذكر أن السيد «المهدي السنوسي» لم يدع «المهدية» في حياته على الإطلاق، كما أنه لم يسمح لأحد من اتباعه بأن يشيعها أو أن يدعيها له بحضورها، وأنه كان يغضب بشدة إذا تناهى إلى سمعه مثل هذا القول، إلا أن كثيراً من السنوسيين على الرغم من ذلك يقولون بمهديته، وعلى رأسهم والده الإمام المؤسس «السنوسي الكبير» وحفيده السيد «أحمد الشريف».

ومما يجدر ذكره – أيضاً – أن السنوسيين لا يلزمون اتباعهم ومنتسبيهم بتصديق فكرة «مهدية المهدي السنوسي»، أو اعتقادها ولا بالقول بها، وهم لا يؤسسون طريقتهم الإصلاحية على هذا القول، ولا يعدونه عقيدة فيها، كما يفعل الشيعة مثلاً، ويحسمون الجدل حين يثار هذا الموضوع بأن قبره هو الموجود بالكفرة. وباختصار فأن الأمر عندهم لا يعدو كونه مسألة ميتافيزيقية غيبية

تندرج ضمن خوارق ستكون بين يدي الساعة معني بها من يعايشها، شأنها في ذلك شأن غيبة «المسيح ابن مريم» وعودته، وغيرها من العلامات التي يصدقها ويقول بها معظم المسلمين».

• أولا : نقد ما جاء في هذا الاقتباس :

1 – اعتراف المهدي ومجاراته لما يقوله أبوه أو عدمه لا يغير من الأمر شيئاً، لأن أباه يحظى بقدسية أكبر عند اتباعه ومن ثم يحظى بتصديقهم.

2 – تقديسهم لمحمد بن علي السنوسي وذريته يؤدي إلى تصديق الاتباع وإلزام أنفسهم بهذه الأقاويل.

3 – القول بأن قبره هو الموجود بالكفرة إذا قصد السنوسيون به تأكيد الموت واستحالة عودة «المهدي» إلى الحياة فهذا لعب بعقول الناس حينما يروجون بالموازاة معه القول بحتمية عودة «المهدي»، هل هو تكتيك تعدد الخطاب؟ أن تقول الشيء وتقول عكسه؟

3 – يعترف الأستاذ «يوسف» بأن السنوسيين يرون في «المهدي السنوسي» مهدياً منتظراً، ويرون مجيئه علامة من علامات الساعة مثله في ذلك مثل ظهور المسيح.

ثانيا : وفقاً لنبوءة «محمد بن علي السنوسي» بعودة «المهدي» فإن لها علامات منها :

1 – تكون بعد غيبة تعادل تقريباً ضعف عمره، وبما أنه كان يبلغ من العمر الـ 58 عاماً حين وفاته عام 1902 فإن عودته متوقعة عام 2018 تقريباً.

2 – تكون عقب مرور شهرين على احتلال أوروبي (فرنسي إنجليزي) جديد، سيقتسم على أثره الفرنسيون والإنجليز ليبيا وشمال أفريقيا، ويكون فيه الحد الفاصل بينهما (مقطع الكبريت) بالعقيلة.

3 – ويكون ذلك بعد احتلال نابلتاني أي إيطالي، فهل من هذه العلامات ما ينطبق على هذه اللحظة؟

• المهدي السنوسي المنتظر في المخيال الشعبي :

تحت هذا العنوان استفدت من الكتاب «الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره» (2)، ومعظم ما جاء في هذا الكتاب مروي عن الملك إدريس وولي عهده الأول «محمد الرضا».

في ص 12 منه يروي «الملك إدريس» رحلته حينما كان صبياً مع والده «المهدي» من «الكفرة» إلى «قورو» في تشاد : ((وكانت «قورو» بقعة منعزلة في وادٍ ينحدر من جبل «ايمي كوسى» الضخم. وسكانها سمر البشرة يعرفون بالتبو، وقد رحبوا بمجيئنا، ولكن السنوسيين لم يستطيعوا التعود على طبيعة تلك الأرض الجبلية الوعرة وجوها المتقلب الكثير العواصف والغيوم المفاجئة، وهو شديد الاختلاف عن جو الصحراء الجاف. ثم أصيب والدي بحمى مفاجئة لم تمهله طويلاً فتوفي في أوائل صيف عام 1320 هـ (الموافق أول يونيه 1902م). وكانت وفاته صدمة كبيرة لنا، وبعدها قرر كبار الجماعة أن نحمل جثمانه ونعود به إلى الكفرة. وهكذا كان.))

ويضيف «دي كاندول» قائلاً : ((وكانت وفاة «السيد المهدي» المبكرة صدمة عنيفة لأتباعه، ومصاباً فادحاً ألم بالحركة السنوسية عموماً. وسرعان ما ذاع الخبر

المفاجئ في أرجاء البلاد عبر الصحارى، فكان له وقع الصاعقة على كثير من الناس حتى أنهم رفضوا التصديق بأنه مات حقاً.))

ويضيف الناشر أو المترجم في الهامش تعليقاً على كلام «دي كاندول» وتأكيداً عليه : ((رفض أحد الشعراء خبر الوفاة في قصيدة شعبية مطلعها :

سيدي مول السر مصفّى ×× غير تخفّى ×× يكذب هللي قال توفّى.

(السر = الأصل، النسب)، واستجابة من المخيال الشعبي المصدق للنبوءات الخاصة بالمهدي فقد تكرر القول بظهوره بعد وفاته، فقد ادعى أحد الدراويش أنه التقى منذ قليل بالمهدي، فسأله الناس عن الاتجاه الذي انطلق نحوه، فأشار الدرويش إلى إحدى الجهات، وبحث الناس عن «المهدي» في ذلك الاتجاه، وحينما يئسوا عادوا إلى الدرويش وسألوه : ماذا قال لك؟ قال الدرويش : لقد قال :

لمقاط بادن ولحبال تقوّن ×× ولسباع خافن والثعالب عوّن.

لمقاط (الأمقاط) = جمع مقط وهو الحبل الغليظ، على الأرجح. وفي حادثة أخرى زعم أحد الرعاة أنه بينما كان عائداً بقطيعه بعد غروب الشمس، رأى سيده «المهدي» بطرف القطيع، انتشر الخبر فأعلن عن إقامة الولائم في الزوايا فرحة بهذا الظهور، وكانت الوليمة (الغداء) بزاوية «عين مارة» وجبة «كسكسو»، وفي خضم الفرحة ارتفع منسوب الأدرينالين وهوس الاستعراض في «الميز»، وتجرأ أحد الفرسان على مضايقة إحدى النساء، وكاد أن يصدم بجواده الطنجرة الفخارية (البرمة) التي كانت تطهو بها الكسكسو، فهب رجل من شيعتها لنجدتها، ونهر الفارس، وتطور الأمر إلى اشتباك عنيف استمر إلى وقت الغروب بين جماعتين من الجمهور المحتفل وسمي ذلك بـ «حس الكسكسو»، و«الحس» تعني المعركة، أما «الكسكسو» فقد شغل عنه الناس بحسه.

ومن علامات تصديق الأساطير حول «المهدي» أنه حينما حملت رفاته إلى «بنغازي» في بداية عهد المملكة ربما لدفنها هناك، عصفت بالبلاد رياح محملة بالغبار وسميت بـ «عجاج سيدي المهدي»، ربما لعنة أو فتنة لم تصب الذين ظلموا خاصة! .. فعدل عن ذلك وأعيدت الرفاة إلى «الكفرة».

وقد تعرض قبر «المهدي السنوسي» بزاوية التاج لعدة محاولات نبش في الأعوام : 2009 ، 2012 ، 2014 ويبدو بأنها لم تنجح في تحقيق مرادها(3) .. ولكن «فجر يوم السبت 2017/12/30 تم إخراج الرفاة ونقلها إلى إحدى المقابر، وقد صرح الشباب الذين قاموا بذلك قائلين : ((تم إخراج الجثمان من مكانه، ودفنه بالصورة الصحيحة، وذلك بسبب كثرة زيارة الناس للقبر والتقرب منه للشفاء أو لقصد حاجة، هذا الأمر دعا لنقل الجثمان حتى لا يقع الناس في الفتن بالتقرب للموتى.)) (4).

• أين يكمن اللغز؟ ومتى يكون التساؤل فرض عين؟ :

((السنوسية حركة أسسها محمد بن علي السنوسي في برقة التي وجدها غارقة في ظلام الجهل .. وهدفها تصحيح فهم الإسلام والنهوض بالأمة ومحاربة التخلف والخرافة)) .. هذه الديباجة المعروفة عن السنوسية، فهل ما جاء عن «المهدي السنوسي المنتظر» يتسق وينسجم مع هذه الديباجة؟ وهل انتقلت «برقة» بهذا من ظلام الجهل إلى نور العلم والمعرفة والعقيدة الصحيحة حقا؟.

الهوامش:

(1) عمر المختار الحقيقة المغيبة

يوسف عبد الهادي الحبوش .. الطبعة الأولى 1438 هـ - 2017م .. منشورات مكتبة وهبة - القاهرة

(2) الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره pdf

ئي . آ . ف . دي كاندول .. ترجمة ؟؟؟ .. الطبعة الثانية .. منشستر 1990 .. الناشر محمد عبده بن غلبون.

صالح ونيس عبد النبي ..

40 عاماً من العطاء ..

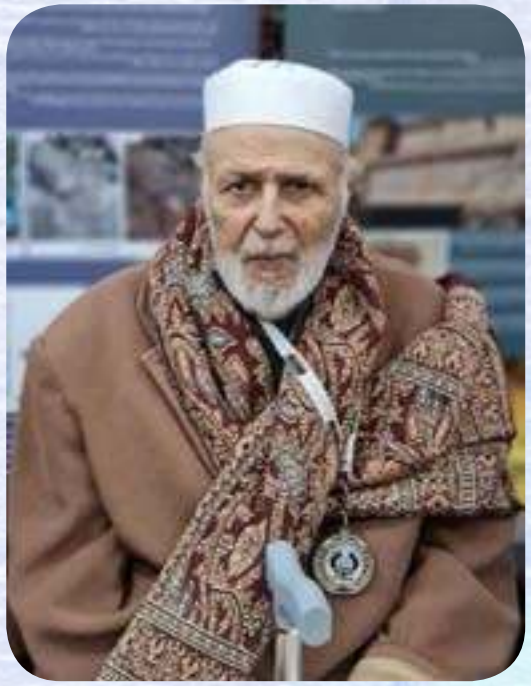

رزق اللّه بوعيدة. ليبيا

هو الخبير وعالم الآثار وأمين مكتبة أثار شحات لمدة تزيد عن أربعة عقود وأحد رموز قورينا المغفور له المرحوم الباحث و الشاعر والأديب الاستاذ" صالح ونيس عبدالنبى بوامدلله الحاسي" .

• مؤهلات الموسوعة الذي رحل :

مواليد شحات 1938 ، يحمل العديد من المؤهلات منها شهادة في علم المكتبات من معهد الآثار بلندن 1963

وشهادة في علم المكتبات من معهد "بوليتيكنك" لندن 1979 ، ليسانس آداب لغة إنجليزية جامعة قاريونس 1983 ، وهو أول عربي اضطلع بمهام أمانة مكتبة الآثار بشحات، وذلك في 1 / 1 / 1951 .

• عاد لكي يقدم لوطنه الكثير :

بعد عودته من بريطانيا قام بتصنيف المكتبة على طريقة الرمزية الهجائية، وكان بعضها على طريقة "ديوي" . وحفاظاً على ما في المكتبة من كتب ودوريات ووثائق هامة من الضياع والتلف فقد صنفها وقسمها حسب الموضوعات والأقطار، وكان يقضي جل وقته

بالمكتبة حتى أطلق عليه "حمامة المكتبة". وكانت مكتبة الآثار التي أسست عام 1914 تحوي كتباً باللغات الإيطالية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإغريقية واللاتينية فأسس بها قسماً للغة العربية به الآن مجموعة من أمهات الكتب، وقد بقى أميناً للمكتبة حتى بلوغه سن التقاعد في 30 / 6 / 2000 ،عمل دليلاً اثرياً ومرافقاً للوفود الرسمية والجامعية وللعلماء والأساتذة والدارسين سواءً من الداخل أو الخارج في "وادي الكوف" مع "جويس رينولدز" في أودية "سوسة"، و"شحات" مع "ليسكي" صاحب كتاب التماثيل الجنائزية"، وفي منطقة "قصر ليبيا" مع "روزا نباوم" صاحبة كتاب "النحت في شحات"، وفي "وادي المهبول" مع "عوض السعداوية" و"عبد الله شيبوب".

• السيرة المشرفة للراحل الكبير :

شارك في حفريات مخطط مدينة شحات الجديدة في عهد مراقب الآثار "ريتشارد جودتشايلد"، وعثر في هذه العملية على الكثير من التماثيل والجرار والكؤوس والمصابيح الخ، وكلف عام 1972 من قبل المدير العام لمصلحة الآثار "عوض السعداوية" بمسح ودراسة شاملة للمساجد القديمة والأضرحة بالمناطق الشرقية، وقد أظهر منها موسوعتين الأولى والثانية، أما الثالثة فتوجد في مصلحة الآثار ولم تر النور حتى الآن، وهى ضمن موسوعة الآثار الإسلامية. كلف من قبل رئيس مصلحة الآثار الدكتور : صلاح الدين حسن السوري بتصنيف مكتبة السرايا الحمراء، وقام صحبة زملائه في مراقبة آثار شحات عام 1980 بدراسة 34 موقعاً أثرياً داخل منتزه "وادي الكوف" ابتداءً من "جرجار امه" شمال غرب "الحنية"، إلى جنوب وجنوب غرب "وادي الكوف"، وقد عثروا على موقع مدينة إسلامية بها مخطط مسجد لم تذكر في كتب التاريخ يطلق عليه حالياً "مريقب شلش"، وقد طبعت هذه الدراسة في كتاب نشر في دمشق عام 1981. كلف عام 1982 بدراسة وترجمة التعاريف للتحف ونحوها الى اللغة الإنجليزية بمتحف سوسة الذي افتتح في 25 / 10 / 1983، كلف عام 1978 من بوليتكنك بدراسات واستطلاعات في مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة سوس بجامعة لندن وزيارات لمكتبات أخرى. له الكثير من الدراسات والمقالات منها عشر دراسات أثرية علمية باللغة الإنجليزية نشرت في بريطانيا وإيطاليا أول دراسة "تمثال مارسياس في قورينى" .مجلة الدراسات الليبية العدد التاسع ، التقرير السنوي 1972 – 1976 ببريطانيا. وآخرها دراسة "ديسكوبولوس" في المجلة نفسها المجلد 32 عام 2001 . وله 24 بحثاً ومقالة نشرت في مجالات مختلفة وكتب وألقيت في مؤتمرات أولها "زيوس ومعبده في شحات". مجلة السياحة العدد الثاني 1969، وآخرها بحث بعنوان "كهف العودة"، ألقى في مؤتمر الأثريين العرب الثالث عشر المنعقد في طرابلس عام 1995 عام 1980. كلفه الدكتور "بورو" بإعداد سيرة بعض الشخصيات من آثار شحات للموسوعة الأفريقية. وشارك في المؤتمر الأول حول حماية الموارد الطبيعية بجامعة عمر المختار 1984 وقدم بحثاً عن "مستشفى التطبيب والتداوي. بلغرا". كما شارك في الندوة العالمية حول نبات السلفيوم التي عقدها مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بطرابلس، وقدم بحثا بعنوان "نبات السلفيوم وعلاقته بنبات الكلخ"، وهى دراسة تطبيقية أولى في التركيز على نبات الكلخ. شارك في المؤتمر الثالث عشر للآثار

بطرابلس 1997 عن النقوش والرسوم الصخرية في الوطن العربي. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وقدم بحثاً عن نقوش وادي الكوف– النقوش المرسومة في "كهف العودة"، وهى نقوش تدرس لأول مرة. ونشر بعض الدراسات والمقالات بمجلة "الثقافة العربية" كما توجد لدى هذه المجلة دراسات ومقالات أخرى تنتظر النشر .وله أيضاً كتاب عن السياحة والآثار بالدار الجماهيرية للنشر والتوزيع سلم منذ 16 / 1 / 2000 ولم يطبع حتى الآن. وألف بالاشتراك مع الحاج "ابريك عطية" كتاب "دليل متحف القيقب"، وقد نشر بروما. وله تسع مخطوطات تنتظر النشر أولها "الإمبراطور هادريان" 1962 – وأخرها "شخصيات متميزة في التاريخ الليبي" عام 1997 .

• رجل النشاط الذي لا يهدأ :

كان يقرض الشعر، وله خمس وخمسون قصيدة باللغة العربية الفصحى شارك ببعضها في أمسيات و أصبوحات شعرية، وبعضها نشر في صحيفة "الشلال"، وصحيفة "أخبار الجبل"، وله عشر قصائد باللغة الإنجليزية نشر منها قصيد "زلزال المرج عام 1963" في مجلة "ليبيان ريفيو" عام 1969 .بالاضافة إلى حضوره ومساهمته في عدد من المعارض والمهرجانات منها :

×مهرجان شحات السياحي العالمي عام 1998 كلف بالجانب الثقافي وألقى كلمة الترحيب باللغة الإنجليزية، ومهرجان شحات السياحي العالمي 2002 ، وكذلك المعرض الأول للمطبوعات والوثائق الليبية المكتبة المركزية جامعة قاريونس1978. كما أنه شارك في عدد من المؤتمرات والندوات منها :

×مؤتمر الوثائق والمخططات والوراقة– البيبليوغرافيا بدمشق عام 1971 – وقدم فيه بحثا عن تأسيس المكتبات من العصور القديمة الى العصور الوسطى. كذلك قيامه صحبة "عبد الحميد عبد السيد" بدراسة كاملة ومسح شامل بالدراسة القياسات – التصوير – الرسم – قراءة الشواهد وتصويرها في مقبرة سيدي اخريبيش عام1972 .

والراحل كان عضواً في جمعية الدراسات الليبية في لندن.، وعضواً في لجنة الموسوعة الأفريقية في ليبيا (المنظمة الأفريقية)، وفي لجنة متاحف اليونسكو. فرنسا. وفي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (المخطوطات العربية). وفي لجنة ما قبل التاريخ .وهو أحد أعضاء اللجنة التي كلفت باختيار بعض التماثيل لوضعها في المتحف الجماهيري بالسرايا الحمراء– طرابلس، كما أنه محاضر في المركز العالي للسياحة والمهن الفندقية 1997 –2004. كما أنه عضو رابطة خبراء السياحة شعبية الجبل الأخضر. وتم تكليفه رسمياً بإعداد ودراسة عن توصيف وتعريف الشوارع والهيآت بالمدن والقرى بشعبية الجبل الأخضر، وقد أنجز هذا العمل وتم تسليمه للجهة المعنية، وهو أحد مؤسسي نادي شحات الرياضي الثقافي الاجتماعي – نادي الصداقة حالياً. وأحد مؤسسي بيت شحات للثقافة والفنون. بالاضافة إلى حضوره ندوات ولقاءات علمية في متحف لندن وجامعة لندن ومعهد الآثار بلندن. وقيامه بجولات ميدانية لمواقع أثرية في مراقبة أثار شحات التي كانت تمتد من مدينة السلطان الإسلامية– سرت – حتى الجغبوب، وزيارات ميدانية في بريطانيا وإيطاليا وسوريا ولبنان ومصر، سواءُ في مجال تخصصه في المكتبات التخصصية أو الآثار.

رسالة المغرب : الدورة 34 للمهرجان الدولي للمسرح الجامعي..

المسرح يولد من جديد ..

سعيد بوعيطة. المغرب. الليبي خاص

على الرغم من تعدد الأنشطة التي عرفتها الساحة الثقافية المغربية خلال هذه الفترة الصيفية، سواءً المنظمة من قبل مختلف الجمعيات الثقافية، أو "وزارة الثقافة"؛ فإننا سنقتصر على أهمها: الدورة 34 للمهرجان الدولي للمسرح الجامعي، الدورة الثانية لمهرجان الكوميديا للمسرح الملكي بمراكش، رقمنة القاعات السينمائية وتحديثها، "ليلى السليماني" على رأس لجنة تحكيم جائزة البوكر العالمية. بالإضافة إلى بعض الإصدارات الثقافية الجديدة.

•الدورة 34 للمهرجان الدولي للمسرح الجامعي :

اختتمت، مساء يوم الخميس 28 يوليوز2022، فعاليات الدورة 34 للمهرجان الدولي للمسرح الجامعي المنظم من طرف كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك (الدار البيضاء)، تحت شعار «إعادة خلق المسرح». وذلك بالمركب الثقافي "مولاي رشيد" بمدينة الدار البيضاء. حيث عرف المهرجان مشاركة عدة فرق مسرحية من دول عربية وأجنبية مختلفة: المغرب، سلطنة عمان، الكاميرون، تونس، إيطاليا، اندونيسيا، ودول أخرى.

افتتح رئيس المهرجان وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك الأستاذ "عبد القادر كنكاي" الأمسية الختامية للمهرجان بكلمة أشاد فيها بالدور الكبير الذي يلعبه المسرح الجامعي في خلق روافد تلاقح ثقافي بين مختلف الجنسيات. كما أكد على ضرورة العمل الجاد والمتواصل لضمان استمرارية هذه التظاهرة الثقافية الفنية، خاصة بعد الوضع الوبائي الذي عرفه العالم، والذي فرض تصوراً وتعاملاً جديدين مع مثل هذه التظاهرات. بعد ذلك، تم تقديم العرض المسرحي «العرس» وهو عبارة عن عرض تركيبي لمجموعة من الورشات المسرحية التي أقيمت طيلة أيام المهرجان بتأطير مجموعة من الفنانين المغاربة والأجانب. وقد عرف الحفل الختامي أيضا تكريم "فابيو امودايي" مدير أكاديمية مسرح الفنون صوفيا اميندوليا / روما. كما أعلنت لجنة تحكيم المهرجان والمكونة من "خالد لحلو"، "الطاهر الطويل"، "فتيحة بناني"، "سيرين أشقر"، عن النتائج التي أسفرت عنها المداولات الخاصة بتوزيع جوائز هذه الدورة. حيث منحت الجائزة التشجيعية لفرقة الإجازة المهنية في المسرح بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك من المغرب عن مسرحيتها«كالاج»، وكذلك لفرقة «المركز الثقافي الجامعي بالمُنستير» من تونس عن مسرحيتها «المسرحية»، ثم جائزة الملابس لفرقة معهد الفن "بادانغ نانجان" من إندونيسيا عن مسرحيتها «أسطورة مينانجكابو: الشهير مالين نان»، في حين كانت جائزة المهرجان و الانسجام الجماعي من نصيب فرقة جامعة "سوونغ إيوي" من

كوريا الجنوبية عن مسرحيتها «حلم العودة إلى مسقط رأسي». أما جائزة التشخيص إناث، فعادت للممثلة "صوفيا مورابيطو" عن أدائها في مسرحية «الزهور الأخيرة» لفرقة أكاديمية مسرح روما صوفيا أميندوليا من إيطاليا. وقد فاز مناصفة بجائزة التشخيص ذكور، كل من الممثل "وليد سالم المغيزوي" و"إبراهيم محمد المعشري" عن أدائهما في مسرحية «إصبع روج» لفرقة الشفق المسرحية من سلطنة عمان. كما أحرزت فرقة الأكاديمية المدنية للفنون الدرامية "نيكو بيبي" من إيطاليا عن مسرحيتها «كوميديا ديابوليك» للمخرج "كلوديو دي ماجليو" عن جائزة الإخراج المسرحي. فيما قررت اللجنة حجب جائزة السينوغرافيا. وفي تقريرها، توجهت لجنة التحكيم بالشكر والثناء إلى المنظمين الذين أتاحوا هذه الفرصة السانحة للتواصل من جديد من خلال أب الفنون (المسرح)، وخصت بالشكر الدكتور "عبد القادر كُنكاي"، رئيسَ المهرجان وعميدَ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك التابعة لجامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، وكافةَ الطاقم الإداري والفني والتقني. وكذلك لكل القائمين على القاعات والمراكز الثقافية التي احتضنت عروض المهرجان، وإلى صناع هذه العروض المسرحية من طلبة وأساتذة وتقنيين وغيرهم. كما استشعرت لجنة التحكيم عن كثب قيمة هذه التظاهرة الفنية على عدة مستويات فنية وإنسانية وثقافية. حيث كانت تجربة إيجابيةٍ ومثمرة. أتاحت لمدة أسبوع سفرًا عبر العالم، وتقارباً بين الثقافات والحضارات والشعوب من خلال المسرح، ومكّنت الجمهورَ المتنوعَ، المكونَ من طلبة وأساتذة وفنانين وموظفين وعموم المواطنين من اكتشاف تجاربَ مسرحية مختلفة، والاحتكاك بالمساهمين فيها، والتفاعلِ مع إبداعاتهم خاصة بعد القطيعة الطويلة مع العروضِ المسرحية التي فرضتها الجائحة. كما أكدت اللجنة على أن تعمل إدارة المهرجان في الدورات القادمة على توسيع فضاءات العروض المسرحية، لتشمل أحياء عديدة من مدينة الدار البيضاء، من أجل تحقيق استفادة أكبر من هذه الأعمال وتقريب المسرح أكثر من الجمهور. وسجلت اللجنة، أيضاً، بإيجابية أهميةَ تنويع قاعات العروض المسرحية، ما بين المركب الثقافي "مولاي

رشيد"، وفضاء "عبد الله العروي" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، والمركب الثقافي "سيدي بليوط"، وأستوديو الفنون الحية، علاوة على عروض مسرحية قدُّمت عن بعد. ومن خلال متابعتها، لمدة خمسة أيام، لمختلف العروض المسرحية المشاركة من مختلف الدول (المغرب وسلطنة عمان وتونس وإندونيسيا وإيطاليا وكوريا الجنوبية)، والتي حرصت على تقييمها بناءً على معايير نقدية، تبرز نقط التفاضل بين هذا العمل وذاك، لاحظت أن جل العروضَ المسرحية المتنافسةَ المشاركةَ في هذه الدورة كانت متفاوتة المستويات الفنية والإبداعية، وعكست تبايناً واضحاً على مستوى التمكّن من ميكانيزمات الفرجة المسرحية، والتي كان بعضها ذا قيمة جمالية عالية، تحققت معها شروط المتعة والتفاعل الإيجابي. وتؤكد اللجنة في ختام تقريرها أن الجوائز ما هي إلا إشارات رمزية دالّة من أجل التنافس على تقديم الأفضل، وإلاّ فإنّ كل الفرق المشاركة في المهرجان تعدّ فائزة، لكونها بذلت جهوداً ملموسةً من أجل بناء عروضها المسرحية، وتقديمها أمام الجمهور بعشق وتطوع وإيمان بالرسالة النبيلة لهذا الفن.

• الدورة الثانية لمهرجان الكوميديا بالمسرح الملكي بمراكش :

نظم المسرح الملكي بمدينة مراكش خلال الفترة الممتدة من 22 إلى 27 من شهر يونيو 2022، فعاليات الدورة الثانية للمهرجان الدولي للكوميديا. قدم خلالها عروض كوميدية للأطفال في الفترات الصباحية، وسهرة حافلة بالعروض الفكاهية في الفترات المسائية قام بتقديمها العديد من الفنانين الكوميديين، وفرق مسرحية من جهة مراكش– أسفي. حيث لقيت العروض، التي قدمت في الهواء الطلق بالمسرح الملكي استحسان الجمهور الذي حج لتتبعها. وتقاسم لحظات من الضحك والبهجة. وخلال أزيد من ساعتين تابع عشاق الفكاهة والضحك عروض كوميدية ساخرة لكوميديين توالوا على خشبة العرض يتقدمهم الكوميدي "صويلح"، والثنائي "جمال ونور الدين" من طنجة، والكوميدي الأمازيغي "لحسن شاو شاو" من أكادير، والكوميدية "خديجة كطاي" من الدار البيضاء، وغيرهم من الفنانين الشباب الذين دخلوا عالم الكوميديا. حيث تناولوا في قالب هزلي وهادف مشاكل وقضايا الحياة اليومية. ودعوة الجمهور إلى التأمل العميق من خلال مواقف هزلية وطريفة، انتزعت إعجاب واستحسان الحاضرين. كما أتحف الفنان المراكشي "عبد الرحيم بن الزبيري" الذي ينهل أسلوبه من الفنون الشعبية ومن التراث الثقافي للمدينة الحمراء، لاسيما فن الحكي، محبيه، من خلال عرض منفرد بعنوان "وان مان شو"، الذي يعكس شغف هذا الفنان بالدراما وإتقانه لتقنيات التمثيل على الركح. كما كان الجمهور على موعد مع المجموعة الشابة القادمة من مدينة الصويرة

"ثلاثي موكادور"، والتي تبرز الطاقات الكوميدية لفناني الجيل الجديد وقدرتهم على التطرق لقضايا جدية بطابع هزلي. وكانت أقوى لحظات هذا المهرجان، مسرحية "المشتاق إلى داق" التي اقتبسها "عبد الرحيم الخردالي" من مؤلف الكاتب الصربي "برانيسلاف نوزيتش"، "ميستر دولار"، والتي تفاعل معها الجمهور الحاضر. حيث تناولت قضية المادة/ المال وهيمنتها على العلاقات الاجتماعية والإنسانية. كما نظم على هامش المهرجان، معرض للصور الفوتوغرافية. تبرز المسار الفني الغني للفنان الراحل "محمد بلقاس". وذلك من خلال مجموعة من الصور النادرة لهذا الفنان الذي تميز بأدواره الكوميدية في مجموعة من الأعمال المسرحية من قبيل "الحراز"، و"سيدي قدور العلمي"، و"هجالة وعريس هبيل"، ومسرحية "الفاطمي والضاوية"، رفقة الفنان الراحل عبد الجبار لوزير، التي عرضت عشرات المرات في مختلف المناطق المغربية. كما نظمت على هامش المهرجان كذلك، ندوة فكرية حول موضوع "الخلفية الإيديولوجية والجمالية لفن الكوميديا"، بمشاركة كل من الباحث والمؤلف المسرحي "محمد قيسامي"، والاستشاري في الطب النفسي الدكتور "ميلاز الفاطمي" الذي قدم نظرة تحليلية للفن الكوميدي ودوره في نفسية الكوميدي والمتلقي. و من جهتها أوضحت الأستاذة "إلهام أبارو" مديرة المسرح الملكي بمراكش، أن الهدف من هذه التظاهرة الثقافية هو النهوض بالكوميديا، وتشجيع الكوميديين الشباب من أجل تمهيد الطريق أمامهم للبروز في الكوميديا الاحترافية، مع إطلاق دينامية جديدة للأنشطة الثقافية في المدينة الحمراء/ مراكش. مشيرة إلى أن تنظيم هذه الدورة جاءت لإحياء المهرجان بعد سنتين من التوقف بسبب الانعكاسات السلبية لفيروس كوفيد 19. من جانبه، عبر "نور الدين بلقاس"، نجل الفنان الراحل "محمد بلقاس"، عن اعتزازه بمبادرة رد الاعتبار لهذا الفنان الشعبي، مشيرا إلى أن مبادرات من هذا القبيل تروم تعريف الأجيال الحالية برواد الفن المسرحي والكوميدي بمدينة مراكش خاصة و المغرب بشكل عام.

•رقمنة وتحديث وإنشاء قاعات سينمائية جديدة :

عرفت القاعات السينمائية بالمغرب في الآونة الأخيرة تراجعاً بارزاً. حيث أغلقت أغلب القاعات أبوابها، والأخرى المتبقية في طريقها إلى الإغلاق. لعل هذا وغيره من الأسباب التي جعلت "لجنة دعم رقمنة وتحديث وإنشاء القاعات السينمائية" بالمركز السينمائي المغربي، تعلن عن تخصيص غلاف مالي بقيمة 11 مليون و500 ألف درهم لدعم خمس قاعات سينمائية وطنية. وأوضح بلاغ للجنة التي عقدت اجتماعاً لها خلال الأيام الأخيرة بحضور أعضائها، تحت رئاسة السيد "محمد كلاوي"، والمكونة من "أسماء العلوي"، "فدوى مروب"، "سميرة الحيمر"، و "أحمد بوغابة"، و"أحمد الغمام"، و"رشيد

منتصر"، أنها درست خلاله الملفات المرشحة للدعم، وقامت، بعد الدراسة والمداولة، بدعمها كاملة. وأضاف أن الغلاف المالي المخصص لهذا يتوزع على إنشاء سينما أخرى بمدينة الجديدة (3.900.000 درهم)، وسينما "فوكس" ببني ملال (3.100.000 درهم)، وتحديث سينما "الدوليز" بالدار البيضاء (2.500.000 درهم). كما يشمل هذا الغلاف المالي، حسب المصدر ذاته، رقمنة كل من سينما "الريف" بالدار البيضاء (1.000.000 درهم)، وسينما "اسبانيول" بتطوان (1.000.000 درهم).

- **ليلى السليماني على رأس لجنة تحكيم جائزة البوكر الدولية" :**

تترأس الروائية الفرنسية المغربية "ليلى السليماني" لجنة تحكيم نسخة 2023 من جائزة البوكر الدولية، وهي جائزة أدبية مرموقة تمنح كل سنة لكتاب مترجم إلى اللغة الإنجليزية، وينشر في "المملكة المتحدة" أو "إيرلندا". وتضم لجنة التحكيم كل من "وليام بلاكر"، أحد مترجمي الأدب البارزين في بريطانيا، و"تان توان إنغ"، الروائي الماليزي أحد الحاصلين على البوكر، و"بارول سيغال"، كاتب وناقد بنيويورك، و"فريدريك ستودمان"، المحرر الأدبي في الفاينانشيال تايمز. وسينكب أعضاء لجنة التحكيم على تحديد أفضل الأعمال المترجمة للرواية المنتقاة من الأعمال المنشورة في المملكة المتحدة أو أيرلندا بين 1 مايو 2022 و30 أبريل2023. يشار إلى أن الكاتبة "ليلى سليماني" صحفية وكاتبة فرنسية–مغربية، من مواليد 1981 بالرباط. وقد تخرجت من معهد الدراسات السياسية بباريس. حينها عملت سنة 2008 بمجلة "جون أفريك" حيث عالجت سلسلة من المواضيع ذات صلة بشمال إفريقيا. وأصدرت سنة 2014 روايتها الأولى لدى دار النشر "غايمار" بعنوان "حديقة الغول"، ثم رواية "أغنية هادئة" الحائزة على جائزة الغونكور في 2016، والجائزة الكبرى للقارئات.

- **الإصدارات الجديدة :**

1 . "كوميديا العدم" لصلاح بوسريف

صدر للشاعر المغربي "صلاح بوسريف" عن دار "خطوط" للنشر بالأردن، عام 2022، عملاً جديداً. حمل عنوان "كوميديا العدم". عبارة عن عمل شعري يخوض في ما بعد الموت، ويضع الشعراء والمفكرين والفنانين في المحشر، حيث لا جنة ولا جحيم. الكتاب عبارة عن اشتغال شعري تشكيلي. يقود فيه "صلاح بوسريف" المتلقي نحو عوالم الغموض والالتباس، والدهشة، ويضعه في سياق من الخوف والرهبة والارتباك. يعمل الشاعر والفنان التشكيلي الأردني "محمد العامري" على مضاعفة هذا الخوف والرهبة والارتباك برسوماته التي توازي العمل الشعري، وتزيد من عوالمه. يتقاطع في هذا العمل الشعري التشكيلي / الشعر والتشكيل، في سياق جمالي

ينقل القارئ إلى عوالم غير متوقعة. يتحول فيها يتحول الشعر نفسه إلى كتابة تتضافر فيها أصوات، وشخوص، وحالات، ومواقف. تتسم بالغموض الذي هو غموض العدم نفسه. والنص في هذا العمل نسيج، تتشابك فيه الدوال، والرموز الإشارات، بنوع من السيماء التي تخرج بالشعر نفسه من القصيدة إلى ما يسميها بوسريف حداثة الكتابة، التي تصبح فيها الصفحة دالا شعريا. ينأى بالنص عن الخطاب في معناه الشفاهي. ليكون كتابة، ونسجاً، اليد فيه من تقوم بحياكة هذا النسيج الذي تتداخل و تتصادم فيه أنواع الكتابة مع بعضها، من خلال العودة بالشعر إلى بداياته التي كان فيها عملاً، لا قصيدة، كما في الشعرية العربية، في ماضيها وراهنها.

2. ديـوان" في سديم الجحيم" لصلاح الدين بشر :

عن درا الوطن للنشر و التوزيع بمدينة الرباط، صدر للشاعر المغربي "صلاح الدين بشر"، ديوان شعري بعنوان "في سديم الجحيم" نهاية شهر غشت 2022، من القطع المتوسط. يتكون الديوان من مجموعة من النصوص الشعرية المتفاوتة على مستوى الحجم. تهيمن عليها مسحة وجودية مع هيمنة ثيمة الموت. لتخلق هذه

النصوص عالماً يتفجر بحوار داخلي وينقل قضية الإنسان إلى سؤالها الأعمق في بعده التأملي و الوجودي. وقد سبق للشارع أن أصدر ديوانه الأول الموسوم بـ "رماد الفينيق" عن دار القرويين بالدار البيضاء، سنة 2016.

3 . فن القصة القصيرة جداً عند "مصطفى لغتيري" :

لمجموعة من الباحثين عن منشورات "غاليري الأدب"، صدر كتاب نقدي جماعي، بعنوان" فن القصة القصيرة جداً عند مصطفى لغتيري" 2022، جاء الكتاب في 256 صفحة، من القطع المتوسط. يشتمل الكتاب على العديد من المقاربات النقدية لعدد من الباحثين العرب و المغاربة (يوسف حطيني، جميل حمداوي، سعيد بوعيطة، إدريس الواغيش، محمد داني، نورة الصديق،إسماعيل البويحياوي، حميد ركاطة، عبد الستار نور علي، عبد الرحمن مولي، هشام بن الشاوي، ياسر فخر الدين، محمد فري، حسن اليملاحي، زيد الفقيه، عبد الغني فوزي). يذكر أن الكاتب مصطفى لغتيري، قاص وروائي مغربي، له العديد من الأعمال الروائية والقصصية، ومدير غاليري الأدب (موقع إلكتروني).

مراكش في 27 غشت 2022

رسالة فلسطين
في مسيرة الشعب الفلسطيني في العقدين الأخيرين ..

معالم سيئة ..

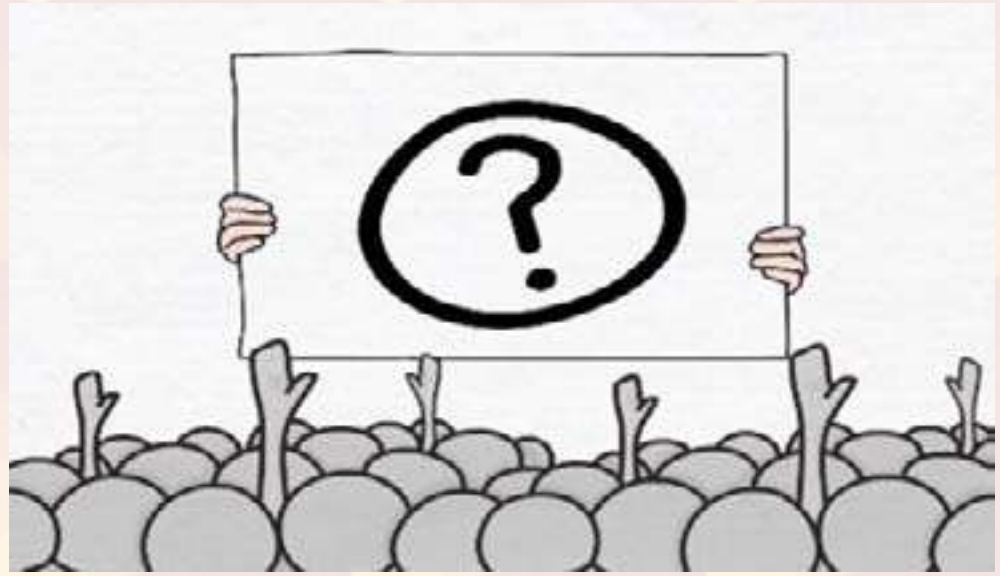

فازع دراوشة. فلسطين

أمضيت جانباً كبيراً من حياتي مهتماً بكل ما يتعلق بمسيرة وطني منذ أوائل ثمانينيّات القرن ما قبل القرن الفارط، وقرأت في ذلك كثيراً .

ومن ملامح ذلك الاهتمام رصد ما يطرأ على حراك المجتمع الفلسطيني في الميادين كافة.

وسأسرد بهذه العجالة خمسة عشر مَعلماً برزت بصورة أو غيرها في مواقع شتى في وطني فلسطين ، بوتيرة سريعة أو بطيئة أو ما بين النمطين . وقد تكون هذه المعالم جلية في مكان وباهتة في غيره . وقد تكون بمنزلة وسطى بين الظهور الواضح والظهور الخافت .

ومن أبرز هذه المعالم (وهي مذكورة عشوائيا ودون أي نسق ترتيبي معيّن)

أولا : التبكير المفرط في «النزول على الزيتون» . أي قطف الزيتون في فترة مبكرة جداً تكون غالباً في الأسبوع الأول من تشرين الأول، وكان لا يتم ذلك سابقاً قبل أواسط تشرين الأول وأحياناً إلى العشرين منه، أو بعد ذلك وقد يصل إلى الأول من تشرين الثاني .

ولا يخفى على المعنيين والعالمين بالأمر الفوائد المادية والصحيّة والاجتماعية التي تعود على ذوي العلاقة ومن حولهم في حال عدم التبكير في قطف ثمار الزيتون المباركة .

ثانيا : تراجع الاهتمام بالزراعة . ويتمثل ذلك في عدم المبادرة لغرس الأشجار على اختلافها، وعدم العناية بالأرض وحراثتها والتخلص من الأعشاب الضارة فيها، وهذا يصدق على الأراضي الزراعية الكبرى والصغرى في القرى والمدن إذ طال الإهمال الحدائق المنزلية إن وجدت أحياناً. ولقد ساهم في إذكاء هذه الروح إلغاء مبحث التعليم الزراعي الذي كان من ضمن المنهج الدراسي الفلسطيني حتى بداية الثلث الأخير من سبعينيّات القرن الفارط.

ثالثا : عدم انتاج الخبز بيتيّا . فقد تلاشت ظاهرة انتاج

الخبز بالبيوت في الطوابين أو الأفران المنزلية، أو حتى على ما تسمى « طاسات الخَبز الكهربائي « ، إلا ما ندر. وبات المرء يشاهد أكداس الأرغفة تنقل صباحاً من الأفران وتوزع على البقالات حتى في القرى التي كانت معاقل الخبز المنتج بيتيا بالطوابين التي انقرضت تقريبا منذ ما لا يقل عن عقود ثلاثة على الأقل مع استثناءات لا يعتد بها . والسيء في الأفران التي ملأت القرى والمدن والمخيمات ان معظمها لا يرقى لمستويات محترمة من حيث نوعيّة القمح والطحين وجودة الإنتاج شكلاً ومضموناً وتمليحاً ونضجاً ...الخ .

رابعا : تزايد اتكاء كثير من ربات البيوت على مطاعم تنتج المأكولات والوجبات الجاهزة في ما لا حاجة ملحة له .أتفهم الاضطرار لذاك التصرف في حال وجود «عزيمة» لأعداد كبيرة من المدعويين، ولكن أن يكون سبب ذلك هو تكاسل أهل البيت جميعاً عن إنجاز مأكولاتهم ووجباتهم فهذا هو المستغرب. واستهجن لجوء كثير من الناس لذلك مدركين أن مستويات الجودة والنوعية والنظافة والنضج لا تكون دائماً على ما يرام .

خامسا : اختفاء ظاهرة القروض الحسنة بين الناس لانعدام الثقة لأسباب لا مجال لسردها هنا .

سادسا : تزايد الاعتماد على الاقتراض من البنوك جرّاء ما تقدمه من مغريات فيقوم كثير من الناس غير مضطرّين غالباً بالاقتراض غير آبهين بحرمة ذلك وكيف ينتهي بمصائب في نهاية المطاف .

سابعا : الهروب من المشاكل بدل حلّها بالحوار والنقاش وإحقاق الحق . وهذا المَعلم يستوي فيه الأفراد والمؤسسات التي تغض الطرف عن مشاكل حقيقية يواجهها منتسبوها بدلاً من حلها ودرسها وبحثها من جوانبها كافة للخلاص منها .

ثامناً : الورم الإعلامي والإعلاني فصار معظم الناس «اعلاميين»، جاهلين أو متجاهلين أن للإعلام اصوله التي تدرس وللإعلام رجاله ونساؤه. وقد يعزو البعض السبب للتكنولوجيا الغامرة التي جعلت كل شيء متاحاً، ولكن التكنولوجيا لم تعلم المعنيين الأصول المرعية

تاسعا : تراجع (ويمكن انعدام) تربية الأنعام من غنم او بقر أو ماعز أو إبل، وكذلك عدم اقتناء الدواجن والأرانب لما في كل ذلك من مرادفة للإقتصاد الوطني العام وللإقتصاد المنزلي الخاص. كما أن ذلك يزيد من فرص العمل العمل ويقلل من التبعية القاتلة لاقتصاد العدو .

عاشراً : تضخم الاهتمام بالشهادات «العليا»، والتي باتت مسميات وكراتين في غالبها بشعار ادفع القسط وخذ الكرتونة ولا تكترث بالمضمون إلا من تعب على نفسه واحترم شهادته (او كرتونته) . واعرف حملة شهادات عليا من سنوات لا تقل عن عقد او عقدين لم ينجز فيها بحث واحد محترم.

حادي عشر : تكرار العمرات بصورة لا لزوم لها، ولم تخف الظاهرة إلا بعد أن ضربت جائحة الكورونا البلاد والعباد .

وقد يقول قائل إنها سياحة وخير من السياحات الأخرى، ولا أعترض شخصيّاً على ذلك ، ولكنني أرصد الظواهر وإن كنت أميل للقول إن عمرة واحدة تغني، ووجوه انفاق بالخير غيرها أولى منها (أعني تكرار العمرات) .

ثاني عشر : الانتشار المفرط للمفرقعات النارية والألعاب النارية في الأعراس غالباً وما شابهها حتى بات «التفقيع» أداة إعلان مضحكة عن مناسبة ما. وفي جميع الأحوال تعتبر تلكم المفرقعات مهلكة للاقتصاد الوطني والفردي، وفي نفس الوقت إثراء لاقنصاد العدو ومساهمة به .

ثالث عشر : ارتفاع تكاليف حفلات الأعراس، وابتداع حفلات في سياقه تسجل في نص مضحك يدون على بطاقات الدعوة لحضور الأعراس، وهي أمور لم تكن رائجة قبل عقدين تقريباً

رابع عشر : كثرة احتفالات المؤسسات الرسمية، وازدهار شغل الدروع والأوسمة والكؤوس وما إليها من الأمور التي لا جدوى منها .

خامس عشر : كثرة حفلات التخرج، وما شابهها، ابتداءً من رياض الأطفال وحتى برامج الدكتوراه، وما يستتبع ذلك من نفقات ومضيعة وقت غير لازمة، ولا سيما لشعب تحت الاحتلال والاحتيال .

وبعد أرجو الانتباه لما يأتي :

1. هناك معالم سلبية أخرى
2. هناك استثناءات لا بأس بها لكل مَعلم من المعالم المذكورة أعلاه .
3. لا بد من قيام أولي الأمر والمسؤولين بأخذ زمام المبادرة بالتوعية والانصلاح والإصلاح.

وللحديث صلة ..

المدرسة لم تستيقظ بعد ..

علي الشوماني. ليبيا

المدرسة في وطننا العربي لم تقم بدورها على الوجه الأكمل، ولا يمكن للغة العربية أن تنمو وتزدهر إلا إذا كان هناك نظام تعليمي صحيح، فالتعليم ليس مهنة مثل بقية المهن، أو وظيفة كبقية الوظائف، بل هو المنبع الذي تتدفق منه كل المهن والوظائف، والمعلم صانع الأجيال وباني الأمم ومهندس المستقبل، ومن هنا يجب على المجتمع أن يُعدَّ المعلم بحرص وعناية وأن يوفر له البيئة الملائمة والمناسبة لتنفيذ ما هو مطلوب منه بإتقان.

ولعل من المفيد أن أذكّر بما قاله "لي كوان"، مؤسس "سنغافورة" التي يقال عنها الآن "جنّة آسيا"، بعد أن كانت تُسمَّى "مقلب الزبالة"، عن المعلم والتعليم :

((أنا لم أقم بمعجزة في سنغافورة، أنا فقط قمت بواجبي نحو وطني، فخصصت موارد الدولة للتعليم وغيَّرت مكانة المعلمين من طبقة بائسة إلى أرقى طبقة في "سنغافورة"، فالمعلم هو من صنع المعجزة، وهو من أنتج جيلاً متواضعاً يحب العلم والأخلاق، بعد أن كنا شعباً يبصق على الأرض ويشتم بعضه في الشوارع.))

وقال أيضاً :

((بعد أن يئس الناس من إصلاح سنغافورة التي طال الفساد فيها كلَّ شيء حتى القضاة، التفتُّ إلى المعلمين بعد أن كانوا في بؤس وازدراء شديد، فمنحتهم أعلى الأجور وقلت لهم: أنا عليَّ أن أبني أجهزة الدولة، وأنتم تبنون لي الإنسان، واهتممت بالاقتصاد أكثر من السياسة، وبالتعليم أكثر من نظام الحكم.))

وقال "مهاتير محمد" مؤسس "ماليزيا" :

((لقد شيدت لشعبي منظومة تعليمية عملاقة لا تتأثر بنوائب الدهر وتقلبات الزمن، علمت شعبي معنى الإسلام والتسامح ونبذ العصبية وحب العمل والإتقان وعشق الوطن، وعندما بدأت الكارثة الاقتصادية تُسقط النمور الاقتصادية واحداً تلو الآخر، قامت نساءُ "ماليزيا" بوضع مصوغاتهن الذهبية لإنقاذ البلاد، إنه حبُّ الوطن الذي تعلمنه في مدارس ماليزيا.))

وأنا أقول، أين ملوك وأمراء وسلاطين وأصحاب الجلالة العرب من هذه التجارب الحيَّة التي أنقذت دولاً وحولتها من ذيل القائمة إلى المقدمة ؟ كم أهدرنا من أموال وجهود، ومع ذلك لم نبتعد كثيراً عن درجة الصفر؟

هل اهتم العرب بالتعليم كما فعلت بقية الأمم؟ هل أعدوا معلماً قادراً على العطاء الصحيح؟ وهل وعوا الحقيقة التي أشار إليها الشاعر "أحمد شوقي"، وهي أن المعلم إذا لم يقم بدوره على الوجه الأكمل فإن النتيجة ستكون وخيمة جداً :

وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة..

جاءت على يده البصائر حولا .

هل العرب ـ نعم، العرب كلهم ـ أدركوا أن التقدم لا يتم إلا عبر مصانع البشر وهي المدارس المتكاملة المعدة إعدادا صحيحاً ؟

هل بنوا مدارس متطورة حديثة؟ هل أعدوا معلماً قادراً على عمل ما يطلب منه ؟ فالمدرسة ـ أيها العرب ـ كما يقال لم تعد وظيفتها قاصرة على التحصيل العلمي فقط، بل هي مسؤولة عن تغيير الدارس، وهي وسيلة لنقل الثقافة من جيل إلى جيل، وهي تعلم الدارسين السلوك الحميد، وتنفرهم من السلوك غير الحميد، وهي وسيلة للتعرف على الموهوبين والمبدعين في شتى المجالات، والمدرسة أساس تعديل السلوك الفردي بحيث لا يتعارض مع السلوك الاجتماعي، والشعوب التي أدركت دور المدرسة تقدمت وتطورت وحققت الرخاء لشعوبها، أما الشعوب التي لم تعرف قدر ودور المدرسة مازالت تراوح مكانها منذ استقلالها وحتى هذه اللحظة.

إن مدارسنا لا تقدم شيئا يُذكر للدارس بل حالها كما قال الشاعر :

وأيُّ نفع لمن يأتي مدارسكم ..

إن كان يخرج منها مثلما دخل .

فنحن ـ العرب ـ لم نغادر منطقة الصفر، ولن نغادرها إذا استمر الوضع على هذا الحال، فماذا ينقصنا ـ نحن العرب ـ؟ قرآننا العظيم يدعونا إلى التبصر والتفكر وإعمال العقل، ولدينا إمكانيات اقتصادية كبرى، وبلداننا شاسعة واسعة، ولا ينقصنا سوى الإرادة والرغبة، نعم الإرادة والرغبة.

يقال : إن تعليما لا يحل مشكلاً يخلق مشكلات، وهذا بالضبط ما يحدث عندنا نحن العرب، فأنا أرى أن مدارسنا لم تنجح في أداء دورها ولم تحقق الهدف المرجو منها، فهي ليست قادرة على إنتاج مواطنين أسوياء، وبناء على ما سبق فمدارسنا ليست مدارس، ومعاهدنا ليست معاهد، وجامعاتنا ليست جامعات، ومناهجنا ليست مناهج، والعملية التعليمية بهذه الصورة مجرد إهدار للموارد في غير موضعها، ومن لا يقبل هذا الكلام عليه الإتيان بالدليل الذي يهدمه.

أرى أن الذي ينقصنا ـ نحن العرب ـ منهج دراسي موضوع بإحكام على أيدي مختصين، منهج يصنع مواطنين صالحين، منهج ينبثق من أرضنا، منهج نابع من قيمنا وتاريخنا، ولكن بعين معاصرة، منهج يعلم

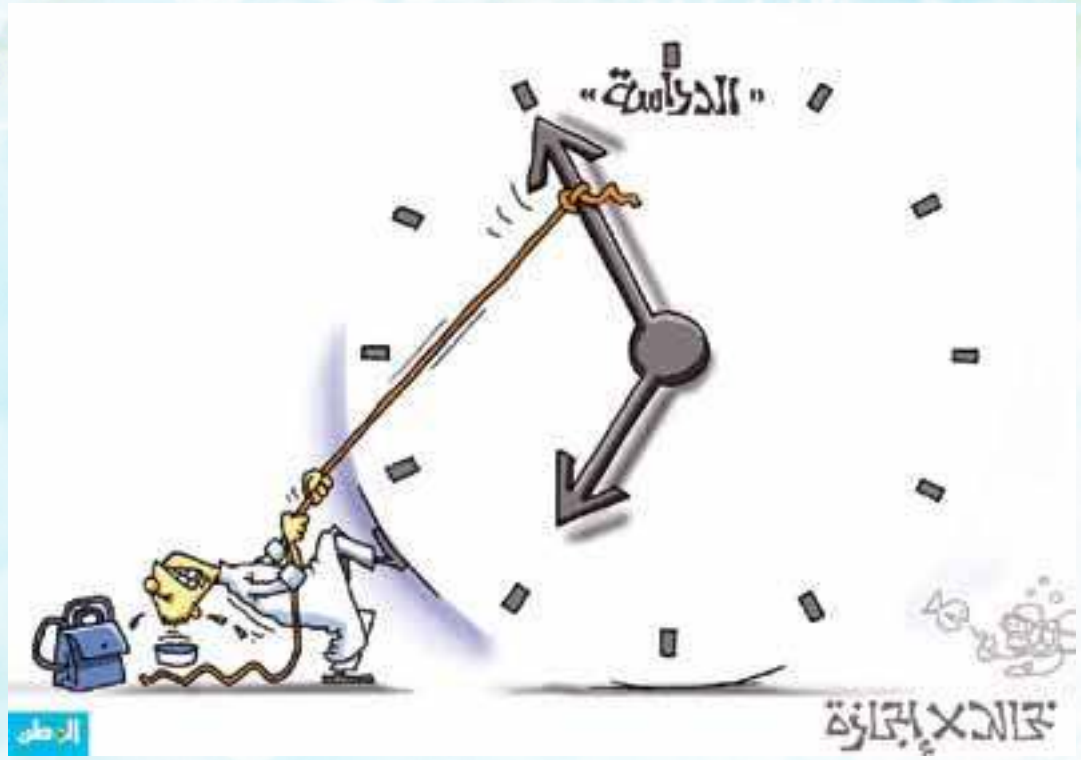

الدارسين المواطنة الحقة والصحيحة، منهج لا يقول لدارسيه أنتم أحسن وأفضل البشر، منهج يساير التطورات المذهلة في العالم، منهج يعلم الدارسين أن الولاء يجب أن يكون للوطن لا للقبيلة، ويجب أن تكون لدى واضعي المنهج قناعة تامة أن الأمم تبنى على مقاعد الدراسة، هذا المنهج إن قُدِّر له أن يرى النور سيتصدى وسيغير الثقافة السائدة في الشارع.

وأود هنا أن أذكر بعض المبادئ العظيمة المنبثقة من رصيدنا الثقافي الإسلامي ـ وما أكثرها ـ ولكن للأسف لا نُعلّمها لأبنائنا ولا نركز عليها مثل قوله تعالى في سورة المائدة "من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً" وقوله تعالى في سورة البقرة "والفتنة أشد من القتل"، وقوله "والفتنة أكبر من القتل"، وقوله تعالى في سورة البقرة "وقولوا للناس حُسنا"، وقوله تعالى في سورة الحجرات "إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

ومثل قول نبينا الكريم الذي نحفظه كلنا ولا نعمل به: "الكلمة الطيبة صدقة"، وقوله عليه الصلاة والسلام في التفريق بين الحرية الشخصية والحرية العامة "إن قوماً ركبوا في سفينة فاقتسموا، فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ماذا تصنع؟ قال: هو مكاني أصنع فيه ما أشاء، فإن أخذوا على يده نجا ونجوا، وإن تركوه هلك وهلكوا"، وقوله صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" وغير هذا كثير جداً.

ومثل قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه "لا يقعدنَّ أحدكم عن طلب الرزق، وهو يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة".

هذه المبادئ السامية وغيرها ما يجب أن نُعلّمه لأبنائنا،

ولا نتركهم لثقافة الشارع، ونعض أصابعنا من الندم لأنا لم نلقنهم العلم الصحيح.

قرأت ذات مرة: "أن سائحة طاعنة في السن اشترت بعض التحف من تاجر تحف في بلد عربي، وطلبت منه أن يكتب لها قائمة بأثمان التحف، فاقترح عليها التاجر أن يكتب لها ثمن التحف بأسعار قليلة حتى لا تدفع عليها ضرائب كثيرة عند رجوعها إلى بلدها، فما كان من السائحة الطاعنة في السن إلا أن تثور في وجهه وترفض الشراء منه، وتلقنه درساً في الوطنية بقولها له: كيف تدفعني إلى خيانة بلدي؟ هذه الضرائب التي أدفعها تعود عليَّ في شكل خدمات أستفيد مها أنا ويستفيد منها مجتمعي"

أين تعلمت هذه السائحة هذه الأفكار؟ لا شك أنها درست منهجاً على مقاعد الدراسة علمها هذا الإخلاص وهذه الوطنية. وأين تعلم تاجرنا هذا السلوك المشين؟

وقرأت ذات مرة في مجلة كويتية أن المخابرات الأمريكية أعدت تقريراً عن العقلية العربية جاء فيه:

1. ميل العرب عموما للكلام أكثر من العمل.
2. ميلهم إلى الاختلاف وليس الاتفاق.
3. حبهم للبذخ والترف مع عدم الميل إلى بذل الجهد.
4. احتقارهم للعمل اليدوي واللجوء إلى الأعمال البسيطة السهلة.
5. تسودهم الاتجاهات الطائفية والقبلية مقابل الاتجاهات الوطنية والقومية.
6. رغم كثرة كلامهم عن القومية، لكن فكرهم منفصل عن فعلهم، لأن الطائفية هي المحرك الحقيقي لهم.
7. تناقضهم الانفعالي، يحبون ويكرهون الشيء نفسه في الوقت نفسه.
8. ميلهم الغريب للمبالغة والتضخيم، ويتضح ذلك في مفردات لغتهم وأسلوب الخطابة واستخدام كلمات أضخم من المناسبة.
9. انفعاليتهم التي تمتاز بالشدة المفاجئة والهمود المفاجئ سواءً على مستوى الفرد أو على مستوى القضايا العامة.
10. يرتكنون للماضي ويتحدثون عن مآثره بشكل دائم ومستمر.

تعليقا على هذا التقرير أقول: ليس بالضرورة أن يكون كل ما ورد فيه صحيحاً، ولكن بعضه على الأقل فيه نصيب من الصحة، وهذه العيوب الواردة في هذا التقرير لا يزيلها ويقضي عليها قضاءً مبرماً إلا منهج مدرسي معد بعناية وإتقان، أما النوايا الحسنة وحدها فلا يمكنها فعل شيء، لأن التعليم كما يقال ليس إيصال معلومات فقط ولكنه في الحقيقة تغيير للسلوك والقناعات.

والأغرب والمدهش ما قالته رئيسة ألمانيا تعليقاً على الربيع العربي الدامي: ((الهند والصين لديهم أكثر من 180 ربًّا و800 عقيدة مختلفة ومع ذلك يعيشون مع بعض بسلام، بينما المسلمون لديهم رب واحد ونبي واحد وكتاب واحد، لكنَّ شوارعهم تلوَّنت بالأحمر من دمائهم القاتل يصرخ: الله أكبر، والمقتول يصرخ: الله أكبر.))

أليس لنا أن نتساءل ـ أيها العرب ـ أيها المسلمون ـ عن المدرسة التي تعلم فيها أبناؤنا هذا السلوك؟ وأن نتساءل عن المعلم الذي لقنهم هذا السلوك وعن المنهج الذي درسوه؟ لقد أهملنا أبناءنا وها نحن نجني النتيجة المؤلمة المحزنة.

جوزيف كونراد ..

سندباد الجنسيات المختلفة ..

الليبي• وكالات

«جوزيف كونراد» أديب إنجليزي بولندي الأصل، ولد في ما يعرف بأوكرانيا البولندية عام 1857، كان والده أديباً مغموراً انتقل مع والده إلى بولندا حيث توفى والده ومنها انتقل إلى فرنسا عام 1874 حيث عمل بالملاحة ثم انتقل إلى «إنجلترا» واستمر في عمله بالبحر. توفي عام 1924 بنوبة قلبية وترك 13 رواية و28 قصة قصيرة. أغلب رواياته لها علاقة بالبحر ويرويها بحار عجوز اسمه «مارلو»، من رواياته «قلب الظلام»، و«العميل السري» و«النصر»، و«تحت عيون غربية»، و«لورد جيم».

• كوكتيل النسب والأوطان :

وُلد «كونراد» في الثالث من ديسمبر 1857 في مدينة «بيردوشيف» في «أوكرانيا»، والتي كانت جزءاً من الإمبراطورية الروسية. وقد كانت تلك المنطقة تخضع للمملكة البولندية في السابق.

كان «جوزيف» الابن الوحيد للكاتب والمترجم والناشط السياسي «أبولو كورزينيويسكي». وقد سُمي «جوزيف تيدور كونراد كورزينيويسكي» حيث كان اسم جده لأمه هو «جوزيف» واسم جده الآخر هو «تيدور»، أما تسمية «كونراد» فقد كانت تُنسب لقصيده «كونراد والينرود» للشاعر البولندي «آدم ميتسكيفيتش». وقد كانت أفراد عائلته تُفضل مناداته «كونراد» على اسم «جوزيف».

على الرغم من أن غالبية سكان المنطقة التي وُلد فيها كانوا أوكرانيين، وأن أغلب سكان مدينة «بيردوشيف» كانوا يهوداً، إلا أن غالبية الريف كان مملوكاً من قبل «الشلاختا» البولندية (الطبقة النبيلة)، وكان «كونراد» ينتمي لهذه الفئة وحاملا لشعار «نبالة ناوليك» Nałęcz. وقد كان الأدب البولندي، وبالأخص الأدب الوطني، محل تقدير لدى السكان البولنديين.

لعبت عائلة «كورزينيويسكي» دوراً هاماً في محاولة استعادة «بولندا» لاستقلاليتها. خدم جد كونراد لأبيه (تيدور) الأمير «يوزف أنتوني بونياتوفسكي» خلال الغزو الفرنسي لروسيا، وقد شكل كتيبته الخاصة خلال ثورة نوفمبر 1830. أما والد كونراد الوطني (أبولو) فقد كان ينتمي للحزب الأحمر السياسي، والذي كان هدفه هو إعادة حدود «بولندا» إلى حالتها قبل التقسيم، كما كان يهدف إلى إصلاح قوانين الأراضي والتخلص من نظام القنانة الإقطاعي. شكل رفض «كونراد» لتتبع خطى والده، واختياره للنفي وعدم المقاومة شعوراً بالذنب له طوال حياته.

• السندباد يبدأ تجواله :

تنقلت عائلة «كونراد» كثيراً بسبب محاولات والده في العمل في الزراعة، وبسبب نشاطه السياسي. في عام

1861 ذهبت العائلة للسكن في «وارسو» حيث انضم «أبولو» للمقاومة ضد الإمبراطورية الروسية، وأدى هذا إلى سجنه في معتقل «وارسو». في 9 مايو 1862 تم نفي «أبولو» وعائلته إلى «فولوغدا»، والتي تقع شمال «موسكو» بمسافة 500 كيلومتر، وقد كانت هذه المدينة معروفة بطقسها السيء. وتم تخفيف عقوبة «أبولو» في يناير 1836، وتم إرسال العائلة إلى «تشرنيغوف» حيث كانت الأوضاع أفضل بكثير. على أي حال، توفيت «أيوا» والدة «كونراد» بسبب السل.

بذل «أبولو» كل ما بوسعه لتدريس «كونراد» في المنزل. تعرف من خلال الكتب التي قرأها في البداية على عنصران سيؤثران في حياته لاحقاً. أولها رواية «عمال البحر» للكاتب «فيكتور هوغو»، والتي تعرف فيها على عدد من الأعمال التي سوف يعمل بها لاحقاً. أما الشخص الثاني الذي أثر به فقد كان «شكسبير»، والذي تعرف من خلاله على الأدب الإنجليزي. ولكن كان أكثر ما يقرأه هو الشعر البولندي الرومانسي.

في ديسمبر1867، أخذ «أبولو» ابنه إلى الجانب الأسترالي من بولندا، والذي كان يخضع لحكم ذاتي منذ عامين كما يتمتع بقدر من الُحرية. بعد مكوثهم لفترة قصيرة في «لفيف» وقرى صغيرة أخرى، انتقلوا إلى «كراكوف» (عاصمة بولندا حتى 1596) في تاريخ 20 فبراير 1869. وبعد مرور عدة شهور تُوفي «أبولو كورزينيويسكي» بتاريخ 23 مايو 1869، وقد كان السل هو سبب الوفاة مثل زوجته، مما جعل «كونراد» يتيماً في سن الحادية عشر.

أصبح بعدها «كونراد» الإبن تحت رعاية خاله «تادو بروفسكي». سببت حالة «كونراد» الصحية وأدائه المدرسي الضعيف العديد من المشاكل المتواصلة لخاله، كما أن مصروفه المالي كان كبيراً. لم يتميز «كونراد» إلا في مادة الجغرافيا، أما في باقي المواد فقد كان ضعيفاً على الرغم من التعليم الجيد الذي حظي به.

اعتقد الأطباء أن سبب مرض الطفل كان مصدره القلق، واقترحوا أن يحظى الولد ببعض الهواء النقي وبعض العمل اليدوي لتقويته. تمنى خاله أن تُعلمه أعباء العمل والمُهمات المحددة أن يكون مُنضبطاً. وبما أنه قد أبدى اهتماماً ضعيفاً في الدراسة فقد كان من الضروري أن يتعلم التجارة. تخيل خاله أنه سيكون بحاراً ورجل أعمال يجمع بين مهارات الإبحار وفنون التجارة.

• الطفل يصبح بحاراً :

أعلن «كونراد» ذا الثلاثة عشرة ربيعاً في خريف عام 1871 عن نيته في أن يصبح بحاراً. لاحقاً قال «كونراد» إنه قد فعل هذا بسبب قراءة كتاب للمستكشف الإيرلندي «فرانسيس ليوبولد مكلينتوك» عن رحلاته التي خاضها بين 1857-1859 على متن سفينة «فوكس» في سبيل البحث عن سفينتي «ايريبوس»، و «وتيرور» التي كان يمتلكهما «جون فرانكلين». يذكر «كونراد» كذلك أن قراءته لكتب من تأليف الأمريكي «جايمس فينيمور كوبر» والكابتن الإنجليزي «فريدريك» قد ألهمته لاتخاذ

هذا القرار الهام. ويذكر أحد أصدقاء «كونراد» في فترة المراهقة أنه كان يحكي حكايات رائعة عن البحر، ومن دقة تفاصيلها كان السامعين يشعرون أن أحداثها كانت تتم أمام أعينهم.

في أغسطس 1873 أرسل «بروفسكي» أبن أخته «كونراد» ذي الـ 15 عاماً إلى مدينة «لفيف» حيث استقبله أحد الأقارب الذي كان يُدير منزلاً صغيراً للأطفال الذين اصبحوا أيتاماً خلال انتفاضة يناير 1863. كان الأطفال يتحدثون الفرنسية هناك وقد استذكرت ابنه المدير عن «كونراد»:

((مكث معنا عشرة أشهر، كان متنوراً فكرياً، ولكنه كان يكره روتين المدرسة حيث وجده مملاً ومُتعباً. كان دائماً يقول إنه يخطط لأن يكون كاتباً مشهوراً. كان يكره جميع القيود. في المنزل، في المدرسة أو في غرفة المعيشة حيث كان يتمدد دائماً. كان دائماً يعاني من صداع شديد وأزمات نفسية.))

قضى «كونراد» عاماً من حياته في المنشأة حتى سبتمبر 1874، حينما قرر عمه أن يُخرجه من المدرسة في «لفيف»، وأن يُعيده إلى «كراكوف» لأسباب غير معروفة.

في 13 أكتوبر 1874، أرسل «بروفسكي» الولد ذا السادسة عشرة عاماً إلى مدينة «مارسيليا» في فرنسا، ليبدأ مستقبله في البحر، وعلى الرغم أن «كونراد» لم يُنه تعليمه الثانوي إلا أنه كان مُتقناً للغة الفرنسية بطلاقة، وقد كانت لديه معرفة باللغات اللاتينية، الألمانية واليونانية، كما كانت لديه معرفة بالتاريخ وبعض الجغرافيا، وربما الفيزياء. كانت لديه ثقافة واسعة وخصوصاً في الأدب البولندي الرومانسي. وقد كان ينتمي للجيل الثاني من عائلته ممن اضطروا للعمل خارج مُلكية عائلتهم، حيث أنه قد وُلد وتربى جزئياً في بيئة نخبة مثقفة عاملة، وهي فئة اجتماعية قد بدأت بلعب دور مُهم في أوروبا الوسطى والشرقية في ذلك الوقت. فهم «كونراد» ما يكفي من تاريخ، ثقافة وأدب بلده مما سمح له لاحقاً بأن يكوَن رؤية كونية مميزة، وبأن تكون له مساهمات أدبية كبيرة. وكان للتوترات التي شهدها في «بولندا» في صغره وغيرها التي شهدها خارج بلاده في كبره أثراً عظيماً في إنجازاته الأدبية الرائعة.

• بانوراما الجنسيات المتعددة :

كان «كونراد» مواطناً روسياً، حيث أنه قد ولد في الجانب الروسي بالدولة التي كانت تُسمى «الكومنولث البولندي الليتواني». في ديسمبر 1876 أخذه والده «أبولو» إلى الجانب النمساوي من الدولة السابقة، حيث كانت هذه المنطقة تتمتع بقدر من الحرية والحكم الذاتي. بعد وفاة والده حاول خاله «بروفسكي» أن يحصل له على الجنسية النمساوية، وقد يكون السبب هو أن والده لم يحصل على إذنٍ من السلطات الروسية ليبقى خارج البلاد بشكل دائم حيثٍ لا يزال يحمل الجنسية الروسية. لم يتمكن «كونراد» من العودة إلى «أوكرانيا» لتبعيتها للإمبراطورية الروسية حيث كان معرضاً لأداء سنوات طويلة من الخدمة العسكرية لكونه ابن سياسي منفي من البلاد.

كتب «بروفسكي» رسالة في 9 أغسطس 1877 وطرح فيها موضوعين مهمين. الأول هو رغبة «كونراد» في نيل جنسية أخرى (طلب التخلي عن الجنسية الروسية)، وخطة «كونراد» لممارسة التجارة البحرية في بريطانيا: ((هل تتحدث الإنجليزية؟ لم أرغب أبداً أن تحصل على الجنسية الفرنسية لأن الخدمة العسكرية إجبارية، لكن أعتقد أن الجنسية السويسرية سوف تناسبك أكثر.))، وفي رسالته الثانية أيد «بروفسكي» فكرة «كونراد» بأن يطلب جنسية الولايات المتحدة الأمريكية أو إحدى الجمهوريات الجنوب أمريكية الكبرى.

في نهاية المطاف انتهى به الأمر في إنجلترا حيث قد تقدم بطلب للجنسية البريطانية في 2 يوليو 1886، وقد تم منحه إياها في 19 أغسطس 1886. ولكن على الرغم من أنه قد أصبح مواطناً عند الملكة «فيكتوريا»، إلا أنه لم يتوقف عن كونه مواطناً لدى «أليكسندر الثالث». ولتحقيق ذلك كان عليه زيارة السفارة الروسية في لندن عدة مرات. لاحقاً وصف موقع السفارة في ساحة «بيلجرايف» في روايته «العميل السري». أخيراً، في 2 أبريل 1889 قامت سفارة الشؤون الداخلية الروسية بإلغاء صفة «مواطن روسي» عن «ابن رجل بولندي سياسي، وكابتن سفينة تجارية بريطانية.»

غادر كونراد «بولندا» في عام 1874 واتجه إلى «مارسيليا»، في فرنسا ليبدأ مستقبله كتاجر بحري على متن سفن فرنسية. قضى «كونراد» عدداً من السنوات في شمال جزيرة «كورسيكا»، وبالتحديد في قرية «لوري». كان يوجد هناك بحار كورسيكي اسمه «دومينيك سيرفوني» وقد كان صديقاً لكونراد، وبالتالي ألهم الكاتب عدداً من الشخصيات التي قام باختراعها، مثل شخصية «نوسترومو» في الرواية التي كتبها عام 1904. زار «كونراد» جزيرة «كورسيكا» مع زوجته عام 1921 لكي يبحث عن أقارب صديقه المتوفى وباقي أصدقاءه البحارة.

بعد أربع سنوات في فرنسا، وعلى متن السفن الفرنسية، انضم «كونراد» للتجارة البحرية البريطانية لمدة خمسة عشرة عاماً. عمل ضمن طاقم العديد من السفن وتدرج في الوظائف من متدرب وحتى وصل إلى رتبة قبطان. منذ مغادرة «كونراد» مدينة «كراكوف» في أكتوبر 1874 مرت 19 سنة حتى قدم استقالته من سفينة Adowa في يناير 1894 عمل «كونراد» على سفن عديدة، كما قضى وقتاً طويلاً في الموانئ، حيث قضى 10 سنوات وثمانية شهور فيها. قضى في البحر لمدة ثماني سنوات فقط وكان من ضمنها 9 شهور كمسافر.

• أديب يكتب بماء البحر :

أغلب قصص وروايات «كونراد» والعديد من الشخصيات كانت مستوحاة من عمله في البحر، ومن أشخاص قابلهم أو سمع عنهم. عادة ما كان يستخدم «كونراد» الأسماء الحقيقية للأشخاص الذين يبني عليهم الشخصيات الخيالية. على سبيل المثال، قابل كونراد التاجر التاريخي «ويليام تشارلز أولماير» أربع مرات في زيارات قصيرة إلى جزيرة «بورنيو». ومن شخصيته استوحى كونراد شخصية «آلماير» في روايته الأولى «حماقة آلماير». ومن ضمن الأسماء الحقيقية الأخرى كان القبطان «مكوير» في رواية «إعصار»، القبطان بيرد والسيد ماهون (الشباب)، السيد لينجارد (حماقة آلماير وغيرها)، وكابتن آيلاي (ظل الخط). كذلك «نارسيوسوس» وهو اسم سفينة حقيقية أبحر على متنها في عام 1884 وقد ذكرها كونراد في روايته «زنجي نارسيسوس».

عمل كونراد لمدة ثلاثة أعوام لدى شركة تجارية بلغارية، وقد أصبح خلالها قبطاناً لسفينة بخارية على نهر الكونجو. وقد ألهمت هذه المرحلة كونراد في كتابة روايته القصيرة «قلب الظلام». خلال هذه الفترة وبالتحديد في غام 1890 في الكونجو. تعرف كونراد على العامل في مجال حقوق الإنسان السير «روجر كايسمنت» وصادقه. عندما غادر «كونراد» لندن في 25 أكتوبر 1892 كان «هنري جاكيس» أحد ركاب السفينة، وقد كان خريجاً من «جامعة كامبريدج» ولكنه مُصاب بالسل مما أدى إلى وفاته بعد أقل من عام واحد. وقد قال «كونراد» في سيرته الذاتية إن «هنري» كان أول من قرأ نص رواية «حماقة آلماير» قبل اكتماله، وأنه هو من شجع كونراد على مواصلة الكتابة.

أكمل «كونراد» رحلته الطويلة كبحار في 26 يوليو 1893 عندما حطت سفينته في لندن، تعرف «كونراد» على إنجليزيين مغادرين من نيوزلندا واستراليا. المحامي ذو الخامسة وعشرون عاماً والكاتب المستقبلي «جون غلزورثي»، و«إيدوارد لانسيلوت ساندرسون» الذي كان ذاهباً لمساعدة والده في إدارة مدرسة ابتدائية في قرية «الترسي». على الأغلب أنهما كانا من أوائل الإنجليز غير البحارة الذين صادقهم «كونراد» وظل على تواصل معهم. البطل في إحدى اولى محاولات «غلزورثي» الأدبية، وبالتحديد في عمل «الركود»، وهو «آرماند»، كان مبنياً على شخصية «كونراد». في «كيب تاون» غادر «غلزورثي» السفينة ليطلع على المناجم المحلية. أما «ساندرسون» فقد واصل رحلته البحرية، ويبدو أنه أول من كوّن علاقات وطيدة مع كونراد.

تخلى «كونراد» ذو الستة وثلاثون عاماً بصعوبة عن البحر في عام 1894 بسبب سوء صحته، وكذلك بسبب عدم وجود سفن كافية، وأخيراً لأنه أصبح مولعاً بالكتابة وقرر أن يُصبح مؤلفاً. روايته الأولى، «حماقة آلماير»، تجري أحداثها في الساحل الشرقي لجزيرة «بورنيو» وقد تم نشرها في عام 1895 وظهر فيها اسم الكتابة «جوزيف كونراد» لأول مرة. كان «كونراد» اسمه البولندي الحقيقي الثالث، ولكن استخدامه في اسمه الإنجليزي قد يكون تقديراً للقصيدة السردية الوطنية «كونراد والنرود» للشاعر البولندي الرومانسي «آدم ميتسكيفيتش».

كان المؤلف والناشر الإنجليزي «إيدوارد جارنيت» من أكبر الداعمين لمستقبل «كونراد» الأدبي، وقد أعجبه نص كونراد الأول «حماقة آلماير»، ولكنه كان مُحتاراً ما إذا كانت لغته الإنجليزية جيدة كفاية للنشر أو لا. استشار جارنر زوجته «كونستانس جارنيت»، وقد قالت إن أجنبية كونراد كانت شيئاً إيجابياً في سرد الرواية.

كتبوا ذات يوم ..

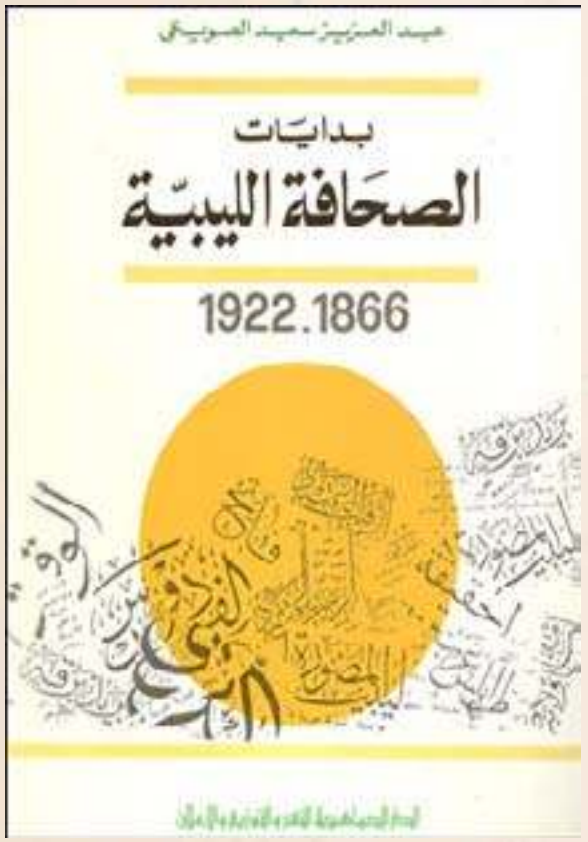

«تعميم حريت»

أول صحيفة تركية اللغة عربية الأسلوب صدرت بليبيا

1908

ظهرت ثلاث صحف فى نفس الفترة التى عقبت الثورة التركية فكانت «الترقى» و«الكشاف» و«العصر الجديد» إلى جانب «طرابلس الغرب». وهذا الأمر جعل العنصر التركى يشعر بالأذى المعنوى إزاء ما يقوم به العرب من نشاط ثقافى فى البلاد التى يحكمونها، ولم يرضهم ما ينشر بلغتهم فى «طرابلس الغرب» إلى جانب اللغة العربية، فحشروا أنوفهم فى المهنة واستمالوا إليهم بعض العناصر العربية التى تتقن اللغة التركية. فظهرت أول صحيفة ناطقة باللغة التركية، هى «تعميم حريت»،

كيف كنا نعيش قبلها ؟

خدعة مُكيّفات الهواء ..

الليبي وكالات

لا أستطيع النوم في الداخل أثناء الصيف في «تونس». فشقتي تقع أعلى عمارة من ثلاثة أدوار في قلب تونس العاصمة وتتحول إلى فرن في غضون حزيران وتموز وآب. حيث تنبعث الحرارة من الجدران ومن ثم تحركها المروحة في دوائر وهي تسعى جاهدة لتبريد الغرفة. وحين يحل الليل وتنخفض الحرارة وتعود نسمات الهواء، يبقى الهواء داخل الغرفة ثقيلاً وحارًّا بشكل خانق. وقد لاحظت أن جيراني قد اعتادوا النوم في باحتهم بالخارج، فحذوت حذوهم وبدأت النوم بباحة السطح.

الانتقال إلى الخارج هي تقنية قديمة للنوم المريح في الأجواء الحارة. وقد أخبرني والدي أنه عندما نشأ مع إخوته في إيران، كان هو وأشقاؤه ينقلون فراشهم إلى السطح للنوم في الصيف. ولكن هذا توقف بعد انتقالهم من المنزل وحصولهم على مكيف هواء.

ومع أن مكيف الهواء قد بات هو الحل الآن للمحافظة على البرودة المعتدلة، إلا أنه كارثة بيئية. إذ تستخدم العمارات أكثر من نصف كهرباء العالم، ومعظمها للتهوية والحفاظ على درجات الحرارة، ويذهب 20% منها لتبريد الهواء وذلك بحسب وكالة الطاقة الدولية (IEA). وقد كانت مكيفات الهواء العام الماضي مسؤولة عن 1 جيجا طن من انبعاثات ثاني أكسيد الكربون؛ والمفارقة أن التكنولوجيا المبنية للتبريد تزيد من دفء الكوكب.

وكما يقول «ألان شورت»، بروفيسور هندسة العمارة في جامعة «كمبريدج»، ومؤلف كتاب «استعادة البيئات الطبيعية في العمارة»، فقد غيّر مكيف الهواء عمل المعماري بصورة جوهرية، إذ «لم يعد المعماريون يفكرون بالبيئة في مبانيهم، فمهندس تكييف الهواء هو الذي يقوم بذلك».

• المكيف المشتبه به :

لقد جعل تغير المناخ من العودة لهذا الموضوع المهمل أمراً ملحاً. فموجات الحر تزداد عدداً وكثافةً عبر العالم. حيث

سجلت درجات الحرارة في الشرق الأوسط نسباً تزيد عن 50 درجة مئوية هذا الصيف، بينما سجل «وادي الموت» في «كاليفورنيا» في الـ17 من شهر آب رقماً قياسياً عالمياً بـ54.4 درجةً مئوية. كذلك تشهد أوروبا المزيد من موجات الحر بينما تغلف مدنها بفقاعات الحرارة؛ حيث شهدت «المملكة المتحدة» هذا الشهر، أطول موجة حر منذ أن بدأت التسجيل في الستينيات، إذ وصلت درجات الحرارة إلى 37.8 درجةً مئوية، أما «باريس» فقد سجلت العام الماضي أعلى درجات حرارة في تاريخها حيث وصلت إلى 42.6 درجةً مئوية.

وأكثر من يعاني هم الذين لا يملكون القدرة على تركيب مكيف للهواء، في حين من يملكون هذه القدرة يفاقمون المشكلة. حيث تتنبأ وكالة الطاقة بأنه في حال لم تتخذ التدابير اللازمة فإن الطلب على الطاقة من أجل تبريد المساحات قد يزداد ثلاثة أضعاف في 2050. غير أن «شورت» يقول: ((من الممكن تماماً بناء عمارات مريحة في مناخات حارة مع القليل من تبعات الكربون إلا أن المعماريين يتبعون عموماً طرازات متأخرة الحداثة وعفا عليها الزمن بشكل سيء.))

تقليديًا، بنيت المنازل في تونس لتخفيف الحر. حيث تبنى الجدران من الحجر السميك، بينما تغطى الباحة المركزية بالإيوان، لتعطي ظلًا وتبرد الهواء خارج الغرف، كما تقول «شيراز مصباح»، الباحثة في مختبر الأركيولوجيا والعمارة في المغرب، والتي تصل سماكة الجدران الحجرية في بيتها في تونس إلى 50 سم:((عندما تدلف إلى الداخل تعتقد بأن المنزل مكيف؛ حيث تمتص الجدران الحرارة ولا تمررها إلى داخل المنزل.)) (الجدران في منزلي الذي –كما تخبرني مصباح– قد بني ما بين الستينيات والثمانينيات أقل سماكةً بكثير).

بدأ الحكام الجدد في بداية العهد الكولونيالي عام 1881، بالتخلي عن الأساليب التقليدية، وانتقلوا إلى بناء البيوت على الطراز الأوروبي بسرعة فائقة لاستدراج الفرنسيين للعيش في تونس: ((بنيت المدينة الكولونيالية بعقلية المستعمر، وبحسب المبادئ الأوروبية.))، كما تقول «مصباح»، : ((فلم تكن مبنية لهذه الحرارة، وللمباني

شبابيك كبيرة جدًا.))، وفي مقابل الطراز الأوروبي من الجادات والمنازل، فإن متاهات الأزقة في المدينة العتيقة مصممة للحد من الحرارة والحفاظ على الخصوصية.: ((الفرنسيون أبرزوا ثرواتهم وفتحوا منازلهم إلى الخارج، ولكن عند إغلاق المنزل فإن الحرارة تقل أيضاً.))

أمّا البرج الزجاجي فهو التعبير الأكثر تطرفاً عن البيت «المفتوح للخارج»، والأكثر عرضةً لأشعة الشمس. تعود جذور هذا الطراز واسع الانتشار الآن فقط إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية، بمنشآت كاملة من الزجاج والأطر فولاذية. وتمت إعادة استنساخ منشآت من الخمسينات مثل ليفر هاوس في نيويورك، في كافة أنحاء العالم، بغض النظر عن المناخات، تكرار لامع للجماليات الحداثية المعروفة بالطراز العالمي.: ((كانت الفكرة صنع أبنية متشابهة لكل مكان في العالم، وأما فكرة المكيف فهي جعل كافة الأمكنة من الداخل متشابهة: باردة))، كما يعتقد «شورت».

• ثروة دبي المهملة :

تشتهر مدينة دبي اليوم بناطحات السحاب الزجاجية، ومراكز التسوق المكيفة. غير أنها كانت تبرد سابقاً بأبراج الرياح (ملاقف الهواء)، وهي أبراج مربعة على أسطح المباني توجه الهواء إلى الداخل عن طريق فتحات على الجوانب الأربعة. وملاقف الهواء هذه –التي استخدمت في الشرق الأوسط 1300 عام قبل الميلاد على الأقل– كانت تكيّف الهواء طبيعياً داخل المباني من خلال التلاعب

بالرياح. تم التخلي عن ملاقف الهواء هذه في دبي منذ مطلع القرن العشرين –باستثناء الاحتفاظ بها كإشارات إلى الإرث على المباني، المقاعد ومنافض السجائر– بينما يستخدمها المعماريون في أماكن أخرى للاستغناء عن مكيف الهواء.

استخدم «شورت» وزملاءه مصائد الرياح والحجارة في تصميم بناء «مصنع جعة فارسونز» في مالطا –أحد أوائل المباني بانبعاث كربون صفري– وتمكنوا بذلك من خفض درجة الحرارة 14 درجة مئوية أقل من ذروة الحرارة في الخارج. أما في الصين، فقد استخدموا أساليب مستوحاة من ملاقف الهواء لجعل الهواء يدور وينتشر في الأبنية الحديثة المكونة من 25 طابقاً. ((لقد سعينا إلى إعادة إدخال محاسن البيوت التقليدية في الشرق الأوسط إلى الأبراج.))، كما يقول، ويضيف بأن جائحة كورونا قد أكدت الحاجة إلى التهوية الطبيعية في المباني للمساعدة على طرد الفيروسات خارج المبنى. كذلك قام معماريو مصنع زد (ZEDfactory) بإعادة توظيف التقنية القديمة ذاتها، حيث نقطوا سطح مساكنهم المطورة الخالية من الكربون في جنوب لندن بأنابيب هواء متعددة الألوان عام 2002.

بات الاهتمام بالابتكارات البيئية للعمارة العامية (الدارجة) بالنسبة لبعض المعماريين يترافق مع تركيز ثقافي متجدد على المحلي.: ((هناك عدم رضى عن لغة العمارة المسطحة للطراز العالمي، بحيث باتت كل مدينة تشبه الأخرى. كذلك تستعيد حركة الخضر نشاطها من جديد.))، على حد قول «لوسيو فريجو، مؤسس «ماتيريا إنكورب»، وهي شركة تطوير عمراني مستدامة.: ((فالناس يقولون الآن: دعونا نُعِد بناء التواصل مع التقاليد)).

في «القنيطرة» بالغرب المغربي محطة قطار جديدة بناها مكتب المهندس المعماري «سيلفيو دي أسكيا»، ومكتب المهندس المعماري «عمر قبيط»، محجوبة بشبكة مشربية؛ وهي من عناصر العمارة الإسلامية التي تخفض الحرارة من خلال خلق الظل والتهوية عبر الهواء الطبيعي. : ((كان الهدف الحد من مكيفات الهواء قدر الإمكان [و] منح البناء هوية تستذكر العمارة التقليدية.))، بحسب المعماري

«عمر قبيط».

كانت إحدى مشاريع «فريجو» مدرسة في الموزامبيق تمت بالتعاون مع المعماري «فرانسيس كيري»، الذي صمم مدرسة ابتدائية نالت جائزة المناخ الطبيعي، في مدينته «غاندو» في «بوركينا فاسو»، وكذلك «سربنتين بافيليون» في لندن. الحرارة في المدرسة تصل من 12 إلى 15 درجة مئوية أقل من الخارج، بفضل الطوب الحراري والتهوية السلبية (الطبيعية) والسقف المكون من طبقتين. وبالرغم من ذلك يقول فريجو بأن «الناس يتذمرون قليلاً» من الحر والعديد من العملاء يصرون على إضافة مكيفات الهواء، التي تعبر عن المكانة الاجتماعية.

• الخدعة الكبرى :

لقد خُدِعنا بصناعة تكييف الهواء كما تقول «سوزان رواف»، أستاذة الهندسة المعمارية في جامعة هيريوت–وات في أدنبرة. «[لقد باعونا] الأسطورة بأنك لن تكون مرتاحاً إلا ما بين 20 إلى 26 درجة مئوية كي يتمكنوا من بيعنا معداتهم، إلا أن الواقع أن البشرية كانت قادرة على الإقامة في نطاق واسع من درجات الحرارة». مضيفة أن بالإمكان اعتبار بيت بدرجة حرارة 35 درجة مئوية «مريح» وذلك بالاعتماد على الشخص والموقع. وربما يستلزم الأمر ثورةً ثقافيةً لجعل مكيفات الهواء غير ظريفة. ((ليلي فرودي، ترجمة ريما العيسى (موقع حبر). نشر هذا المقال في صحيفة الفاينانشال تايمز بتاريخ 28 آب 2020.))

فظاعة السَّراسِنة ..

عزالدين عناية. أكاديمي تونسي مقيم في إيطاليا.

يندرج مؤلَّف الكاتب الإيطالي «بييترانجيلو بوتافوكو» ضمن مؤلفات المهتدين الجدد إلى دين الإسلام، وهو ليس كتاباً كلاسيكياً عن رحلة اهتداء ديني، كما دأبت العديد من السِّير التي حبّرها لفيف من المتحولين نحو عالم الإسلام؛ بل هو مؤلَّف يروي كيف يرى المعتنق–المنتمي لهذا الدين، ابن الواقع الغربي العلماني، عالمَ الإسلام اليوم، الذي بات منتسباً إليه ومنفعلاً بأحداثه وإلى حدّ ما معنياً بمصائره. فليس خطّ التحول نحو الإسلام في الغرب الحديث فاصلاً سطحياً لأناسٍ حيارى وجدوا ضالتهم في سحر الشرق كما يروج عادة، بابتذال للظاهرة المركّبة وتسطيحها؛ بل هو دربٌ عسيرٌ وإدراك عميق سلكته شريحة في الغرب منها قامات فكرية عالية لعلّ أبرزهم «رينيه غينو»، و«هنري كوربان»، و«روجي غارودي». فأية مصاعب وأية تحديات يلقاها هذا «المهاجر الروحي» في طريقه؟ لا سيما في حقبة عاصفة يعيشها المهتدون الجدد، متّهَمين بموالاة أجندات أجنبية، أو محسوبين على دول مارقة وتنظيمات متطرفة عابرة للقارات، تجد ملجأ في فضاءات متوترة من العالم الإسلامي، ولا سيما في المشرق العربي، كما نرى اليوم في بلاد الشام وما جاورها.

إذ يدعو العنف المتفجر في البلاد العربية وبلاد الإسلام عامة، إلى تأمل فكري رصين بعيداً عن الإسقاطات المغرضة التي تتحكم بمقاربة هذه الظاهرة والمتراوحة بين الاتهام والتأجيج، ذلك ما تناوله قسمٌ واسع من كتاب «بوتافوكو» المعنون بعنوان استفزازي «فظاعة

السراسنة»، ولفظة «السراسنة» في معناها الغربي الغائم تعني العرب والمسلمين على حد سواء؛ فضلاً عن طرحه إشكالية معنى أن تكون مسلماً غربياً اليوم. حيث يتساءل الكاتب منذ مطلع كتابه أين يسحب العنفُ العبثيّ العالمَ الإسلاميَّ وقرآنه المجيد يؤكد بصريح القول: «من قتلَ نَفساً بغير نَفس أَو فَساد في الأرض فَكأَنّما قَتل الناسَ جميعًا»؟ أوَمَا زال معنى لهذه الآية في ظلّ تزاحم تأويليات العنف المستندة إلى نصّ مقدس، وقد تضاربت الفتاوى وتزعزت الثقة في المرجعيات؟ وهل أفلس الشرق من أولياء الله ودعاة اللاعنف ليتحول إلى مرتع لتجار السلاح ومروّجي الفتن ولم يبق سوى مجيء المسيح الدجال (برنار ليفي وفق قول الكاتب) لينقذ الشرق من تيهه. فقد بلغ هولُ التناحر مستوىً متقدّماً، بات يأتي على الأخضر واليابس، الأئمة والمصلين، المستأمنين والمستجيرين، حتى لكأن الصراع المحتدم في العراق وسوريا صراع أبوكاليبسي، أخروي، كما تصوّرُه رسالة «يوحنا» في العهد الجديد وفق «بوتافوكو». واقعٌ يشبه دورة الفتنة الأبدية، كلّما خرج المرء من واحدة انكبّ في أخرى أشدّ وطأة.

يصدّر الكاتب كتابه بحديث الفسيلة النبوي الشهير، حديث الغرس والأمل والحياة، حتى على عتبة الرحيل إلى العالم الآخر بين يدي الحكم العدل. ثم يعرّج على ذلك في متن الكتاب، فالأمة المستأمَنة على رسالة الإسلام والإيلاف، صار ضحاياها بالألوف ولاجئوها بالملايين، فأي شيء يعتمل داخل الوعي الديني حتى تحول التديّن إلى مشكلة كونية، يتناقض فيها المثال مع الواقع تناقضاً صارخاً؟ ومن هذا الجانب يفصح الكاتب عن تحدّ واقعي يواجه أتباع هذا الدين من أصول غربية بشأن سؤال العنف، كيف يفسرون لبني جلدتهم من الغربيين ما يحدث، وهل ما زال إقناع الناس أن الإسلام لغوياً من السلم والسلام له معنى؟ فالحجّة صارت مردودة والإجابة صارت متعذرة على قائليها، لا سيما والواقع ينفي ما ينبس به المرء، أمام الضخّ الإعلامي الهائل الوارد على الناس من الشبكة العنكبوتية ومن الخلوي ومن شتى أصناف وسائل التواصل. فهل يَقدر العربي أن يقول للغربي إن الإسلام دين سلام؟ يصبح محل سخرية للجمهور لو قالها في تلفزيون أو في محفل أو فوق منبر، فحتى أحباء الثقافة العربية من الغربيين باتوا في ورطة من أمرهم مما دهى العرب. ليس من الهين كما يقول «بوتافوكو» أن يكون المرء مسلماً في زمن يتعرض فيه عالم الإسلام إلى تفجير من داخله، من أبنائه، ومن حماته، ولا سيما من حاضنته العربية بشقيها السني والشيعي. يردّد المؤلّفُ القول المشهور في أوساط المهتدين: أحمد الله أني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين.

فقد كان اللوم –في ما مضى– على الغرب الذي يعرض صورة فجّة مغرضة عن الإسلام، ولكن ما يفعله مسلمون بمسلمين، وما يفعله عرب بعرب هو أشد ضراوة وأدهى فتكاً. في حادثة «شارلي هبدو» في فرنسا، التي عبّرت عن عمق هذه التراجيديا، رجلٌ يطلق النار ويكبّر، وحارس يخرّ صريعاً وهو يلهج «الله أكبر»، إنها تناقضات الإسلام المهاجر اليوم، الذي لا يدري أين يتموقع، فالقاتل والمقتول أوروبيان، عربيان، جزائريان، وُلدا وشبّا في فرنسا على دين الإسلام، «شريف الكواشي» القاتل و«أحمد مرابط» القتيل. اختلطت السبل نحو الجنة على الإسلام المهاجر، وهي سمة تطبع كما يقول بوتافوكو الإسلام الغربي، فهو سطحي، استعراضي، رومانسي، في علاقته بالجذور، لم يتشكّل فيه الشهود الحضاري الواعي، فلا يزال «المهاجر/المواطن» مشدوداً إلى الخلف، مهووساً بالمنبع، في مسلكه وفي منسكه، منفعلاً بما يجري في بلاد الإسلام دون بلوغ تعال رؤيوي. لقد تعرّض علماء اجتماع عديدون لمسألة «الإسلام الغربي» أو «الإسلام في الغرب»، أمثال الإيطاليين «إنزو باتشي» و«ستيفانو أليافي» في العديد من الأبحاث، التي تناولت ظواهر الإسلام المهاجر وقضاياه. بدا جلياً أن شقّاً واسعاً من المسلمين، من مواليد الغرب، ما فتئ يعاني رهقاً. ففي خضمّ الدمج القسري أو الاندماج الطوعي بقي التديّن، بمعناه السوسيولوجي، دون إعادة تشكيل عقلانية. فعلاً نواة الدين هي مربط الفرس في ذلك السجال الدائر.

ويخلص الباحثان إلى أن التحرر الرؤيوي مرهون أساساً بتطوير الإسلام الديناميكي المتجذر في بناه الاجتماعية وفي سياقه التاريخي الغربي. فليست أوروباً فحسب أمام هذا الاختبار الحضاري، بل الجموع المسلمة المتواجدة داخل حاضنتها طرف رئيس في هذا التحدّي.

يقول «بوتافوكو» بتنا نرى عدداً هائلاً من المسلمين قتلى بأيدي مسلمين، فالصراع في الإسلام وعلى الإسلام على أشده، كل له تأويليته المسقطة على الدين، والمفروضة بمنطق القوة لا بقوة الحجة، والتنافس ما عاد داخل عالم الإسلام بين الأفكار، بل بين أشكال العنف المختلفة، إذ الحدود التأويلية باتت غائمة، مائعة، بين مقترفي العنف وضحاياه. علامَ يتقاتلون؟ ذلك السؤال المحيّر الذي يطرحه الإنسان الغربي العادي والبسيط والمتابع لأحداث العالم. حتى بات العنف الواردة أنباؤه من ديار الإسلام خبراً رتيباً باهتاً، يقابَل بلا مبالاة وبرودة جراء تكرره وعبثيته، لا سيما وقد أضحى لا يدخر موضعاً، الكنائس والمساجد والأسواق والتجمعات الأهلية، فهو عنف أعمى بلا رسالة ولا مقصد ولا غرض. وحتى الزمان فقدَ قداسته، لا رمضان ولا عاشوراء، لا عيد ولا مأتم، فهل ما زال لدلالات الأشهر الحرم في التصور الإسلامي معنى؟ بالفعل في الزمن الحالي افتقد العنف العربي مرجعيته وغدا عبثاً ارتدادياً يستهدف الذات. يلخّص «بوتافوكو» حالة المتقبّل الغربي للمعلومة والخبر الواردين من البلاد العربية بقوله: تحوّل الخبر الوارد من البلاد العربية إلى مشتقات جذر «قتل»، ليس بما يروّجه الخصوم عنهم، بل بما يفصح به الإعلام العربي عن واقعه، مما حوّل الخوف من العربي أمراً غريزياً لدى الغربي، حرفًا ولونًا وملبسًا، لكن البترول العربي يبقى شهياً ومحروساً وآمناً.

وفي سياق الحديث عن الواقع الراهن يقول الكاتب، يشتكي السوريون من تناسي العالم لهم ويستصرخون الضمائر الحية في الغرب لمدّ يد العون، ويبيّن قائلاً: وهل أبقى العالم الإسلامي ضميراً للبشرية حتى تتعاطف مع قضاياه؟ فاللاجئ السوري في المخيال الغربي ما هو إلا فائض عنف، وهو بقايا لفوضى عارمة متشظّية تشبه آثارها الإشعاعات النووية، التي ينبغي التوقّي منها بشتى السبل، وإن لزم حصرها في الداخل إلى ما لا نهاية، هكذا بات الغرب أمام قضايا العالم الإسلام خالياً من الشعور الإنساني النبيل. فالسراسنة كما يعي المخيال الجمعي عادوا مسلّحين مجدداً بأدوات التقنية وأشكال التواصل الحديثة الموظّفة أساساً لتمديد رقعة العنف. فالكتاب فيه تعرية قاسية لواقع العرب اليوم، نرصده في كافة ثنايا فقراته، مع أن الكاتب يتوجه بمقوله إلى قارئ غربي، من منظور مسلم غربي لا يتوانى عن التصريح بانتمائه إلى شيعة آل البيت.

ثم في موضع لاحق من مؤلّفه يتناول «بوتافوكو» بالتحليل والتوضيح مسألةَ المسلم الغربي والإرهاب التي باتت مطروحة. إذ يبدو المسلم الغربي الذي يعود إلى أصول غير أوروبية، أي إلى أصول مهاجرة، هو الأكثر عرضة للانجذاب نحو العنف لما يلقاه من رفض داخل الغرب، فهناك معاناة لا ينبغي التستر عليها. لكن الفرنسي والإيطالي والإنجليزي القحّ يبدو أبعد عن الوقوع في شراك ذلك الإغواء، ويبدو في منأى عن تلك التعبئة النفسية القسرية. أمّا القوقازي أو الأوروبي البلقاني فهما الأكثر وقوعاً ضمن دائرة الإغواء لما يختزنه المرء في لا وعيه من قهر واضطهاد. لكن الدعاية تتلاعب أحياناً وتعرض كل أشقر هو غربي، فالدعاية طرف فاعل في الحرب المتفجرة اليوم. والإعلام الغربي بدوره يتلاعب بورقة الغربيين الملتحقين بالجهاد في سوريا. أحياناً للحدّ من ظاهرة التحول الديني التي باتت جلية في غرب يشهد انكماشاً دينياً وفتوراً روحياً. فهناك طرف في الغرب متربص بالإسلام الغربي، يتقفى عثراته، يتشابك فيه اليمين مع الكنيسة الغربية التي تقلقها حالات الانسلاخ الداخلية.

يفصح الكاتب عن قناعاته الشيعية في أكثر من موضع في ثنايا كتابه، إذ تبدو إيران من منظوره الدولة الإسلامية الوحيدة تقريباً التي تملك استراتيجية ثقافية هادفة في العالم الغربي. فالعديد من البلدان العربية، ولا سيما البترولية منها، حاولت خلق استراتيجية ثقافية من خلال

المال بشراء الكراسي في الجامعات الغربية لكن الكراسي تلك تبدو منفصلة عن الناس وبعيدة عنهم. لذلك تبدو وكأنها لابتزاز الشرق أكثر منها للحوار الحقيقي مع الشرق، تستعملها بعض البلدان مطية لشراء الدكتوراوات الفخرية أكثر منها سبيلاً لصنع حوار فاعل مع الغرب، ويضرب مثلاً عن ألوف الغربيين الذين يتعطشون لتعلّم العربية ولكنهم لا يجدون المساعدة من أي طرف في ذلك.

ويرى الكاتب، كان النظر للثورة الإيرانية مع اندلاعها رجوعاً للأصل، للذات، وذلك قبل أن يدخل الثوار والثورة دهاليز الدعاية والدعاية المضادة، وقبل أن يشرع باب «الإسلاموفوبيا» على مصراعيه. فبعد وعي ملوّث بعالم الإسلام، دام قروناً، نظر الغرب بعين ملؤها التصالح مع عالم الإسلام، بدا ذلك حين تابع الغرب بشغف مراسلات المفكر الفرنسي «ميشيل فوكو» عن الثورة الإيرانية، التي كان يكتبها في «كوريييري ديلا سيرا» الإيطالية، فالعالم فيه متنفس للروح، ما كان الخميني مشيطَناً بل حَمْلاً، كان ربانياً في زمن طغت فيه المادية والعدمية حتى النخاع. لكن تلك المحطة أُغلقت وكانت منطلقاً لفوضى عارمة. وفي قراءة «بوتافوكو» للمشهد الشرق أوسطي في ظل التحولات السياسية التي تخترق هذه المنطقة تبدو إيران قد حققت مناعتها، أو أنتجت مناعتها منذ «الثورة الخضراء»، لكن سوريا التي بقيت مغلقة تأخر فيها الإصلاح، غدت جسداً بدون مناعة منذ أن استولى العسكر عليها، ومنذ أن دخلت حكم آل الأسد الأبدي فتحولت إلى خزان للتناقضات. فالماضي يعانق الحاضر، واستراتيجية «اسكندر ذي القرنين» القديمة التي تقول «من يريد فارس يتوجّب عليه المرور بسوريا» تبدو حاضرة اليوم لوصول الغرب لاستيعاب إيران، وهو تحليل من منظور «بوتافوكو» ميتافيزيقي، فما يحدث في سوريا تجربة عسيرة تضع العالم الإسلامي بأسره في موعد مع العصر الألفي ومع واقعية الاستراتيجيا السياسية.

لقد غدا الإسلام كابوساً في المخيال الغربي، يتلقفه الكتاب والأدباء بالتحليل والفهم. ففي الرواية السريالية «خضوع» أو «استسلام»، أو بالأحرى «إسلام» لميشيل هولبيك الصادرة سنة 2015، يتحدث صاحبها في فصل استشرافي من فصولها، كيف ستصوّت فرنسا الديمقراطية مكرَهة في صراعها مع «الجبهة الوطنية» اليمينية إلى محمد عباس، مرشح الإخوان المسلمين سنة 2022. ذلك مصير فرنسا السياسي بمنظور استشرافي، فرنسا بلغت أوج أزمتها التي سبق أن نبّه منها «رينيه غينو» في كتابه «أزمة العالم الحديث»، أو بالأحرى «عبدالواحد يحيى» بعد إسلامه، بأسلوب رمزي باطني، لا زال يشدّ من يغويهم التفسير الباطني والرمزي لأحداث العالم. فالشرق يبقى عميقا كما سبر غوره «هنري كوربان»، صاحب الخيال الخلاق، وما الغرب سوى منفى للميتافيزيقيا. فـ«المفتاح الهرمنطيقي» لعلماء الشرق القدماء بوسعه أن يقدّم جواباً عن مصائر الإنسان المعاصر الذي باتت تلفه الظلمة وغير قادر على رؤية ذاته، إنه منفى المنفى، كما يصف الحالة في مؤلّفه «دورات الزمن والغنوص الإسماعيلي».

وتحت عنوان «المعرفة بحر والجهل محيط»، ينتقد «بوتافوكو» الآلة الغربية الإعلامية بقوله: يروّج الإعلام الغربي أن العالم الإسلامي رافض للمسيحية، حتى أن المرء يدان في إيران بمجرّد الإشارة بعلامة الصليب، كما اعتاد النصارى فعل ذلك عند المرور بمصلّى أو كنيسة، لكنه يستدرك، «الكاتيكيزم» (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية) قد سهرَ على ترجمته إلى الفارسية علماء دين من حوزة قم ومن الجامعة الغريغورية الكاثوليكية في روما، وكلاهما مرجع لاهوتي وديني في العالم الشيعي والعالم الكاثوليكي، ثمة رغبة في التلويث عبر الدعاية لا تهدأ ولا تفتر.

((الكتاب: فظاعة السراسنة. المؤلف: بييترانجيلو بوتافوكو. منشورات: بومبياني، ميلانو-إيطاليا. سنة النشر: 2018. عدد الصفحات: 208 . اللغة. إيطالية.))

رامبو في هراري ..

الشاعرة الإنجليزية: راشيل بوست. ترجمة عاشور الطويبي. ليبيا

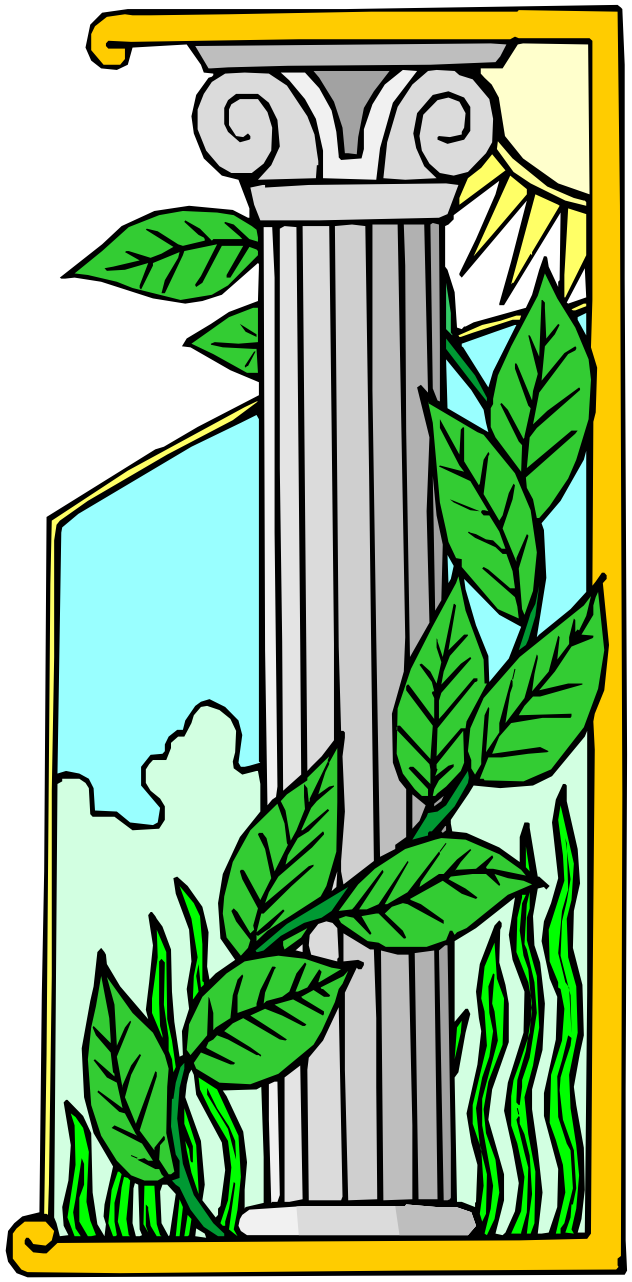

في الجبال الجرداء
على الطرق الجرداء
وعند مقامات الصوفيين
لا حاجة للتفكير في
قضاء الوقت.
يوجد فقط الفعل البديع.
الفعل أنقى أشكال الفكرة التي
لا تقولها كلمات. هي ليست حتى
ماء من بئر.
أروِ القصص إذا لزم ذلك.
أما الآن دع الفكرة تبتهج في داخلنا.
بمهابة نظلّ صامتين
في الصالونات حيث يتنافس
المفاخرون بأنفسهم علّ أحداً يسمعهم.
يذبل الضوء بينما يعلو الحديث
وكلما قلّ الكلام ازداد الضجيج.
إن لديك ما تقول،
قله على عجل، لكن أعفني
من عناء تهشيم
أزمان أفعالك وأماكن
ضمائرك. أنا فعلٌ.
مشقّةٌ عظيمة
أن أسير على هذه الطرق
عابراً هذه التلال
مانحاً هذه المناظر الخلابة
فأنا لم أترك الشعر.

الكاتب والأديب عبدالحكيم عامر الطويل لمجلة الليبي :

الفانتازيا هي خيال غير علمي

حاوره: رئيس التحرير

افتخر جداً بهذه الحوارات التي أجريها مع من يستحقون المحاورة، هو أمر رائع أن تحاور عقلاً له شخصية واثقة وإبداع لا يمكن إنكاره. تماماً مثل ضيف مجلة الليبي هذا العدد .

إنه « عبد الحكيم عامر الطويل»، الأديب متعدد المواهب، مبدع في كل ما يتطرق إليه ، كتب عن علوم الفضاء، وعن الآثار، وساهم في محاولة الحفاظ على مدينة طرابلس القديمة، وكان شخصية ثقافية بارزة استضافها التلفزيون الاسباني، وفاز بجوائز في التصوير.

المجالات متعددة وكثيرة، والإبداع لا حدود له، ولكن الريادة تمثلت في أنه أول كاتب قصص خيال علمي متخصص في تاريخ الأدب الليبي، قد نتكلم عن أدباء كتبوا قصة أو أكثر في الخيال العلمي (ومنهم أنا على سبيل المثال) ولكن هذا لا يعني ولادة كاتب خيال علمي بالمطلق، لكن «الطويل» استحق هذه الريادة بما أبدعه من أعمال واصل فيها الحفر على جدار كهفٍ لم يتوغل فيه من قبله أحد في ليبيا، ولا عجب في ذلك، أليس من نسل أولئك الذين حفروا منذ عشرين ألف سنة على جدران أكاكوس ما لذ لهم وطاب ؟

تعالوا لنستمتع بحوارٍ من ذهب مع أديب من قيمة الذهب أيضاً .

1. الليبي: دعني أولاً وقبل حتى أن أبدأ الحوار، دعني أسألك عن هذه الخلطة التي تبدو عصية على الفهم: هندسة نووية، نقد اجتماعي، آثار، خيال علمي، هل يمكن أن تشرح لي؟

كانت رغبتي منذ طفولتي أن أدرس علوم الفضاء، ربما كتأثير مباشر لذلك الكم من قصص الخيال العلمي للأطفال التي كان يحرص أبي رحمه الله على شرائها لي ولإخوتي أُسبوعياً، كما أن لحظة هبوط الإنسان على القمر في 1969 كانت حدثاً تاريخياً حُفر في ذاكرة طفولتي وأنا ابن السادسة، حيث شاهدته بالأبيض والأسود من تلفازنا الليبي، حيث جاء هذا الحدث بعد نحو سنة من افتتاحه، وحينما وصلت سنة الشهادة الثانوية أدركت أنه لا وجود لدراسة الفضاء في بلادنا، لكن عندما تعرفت على «الكيمياء النووية» ضمن منهج كيمياء هذه السنة قررت أن أدرس الهندسة النووية لأنني أحسست بأنها أقرب دراسة جامعية متاحة لي لعلوم الفضاء، أليست الصواريخ النووية هي البديل المرتقب للوصول إلى الكواكب من حولنا؟ أليس المفاعلات النووية هي البديل الأنسب لتوليد الكهرباء فوقها؟

أما عن الآثار فقد كان لها مساريْن مختلفيْن وإن التقيا في النهاية، فحينما كنت في 12 من عمري سمعت من حوار جرى بين أبي وبعض قريباته في مناسبة عائلية يقول إنه سمع من أبيه وجده وعمته الكبيرة أن جدنا الأول كان «حاكماً»، وكان جباراً على خصومه، كانت هذه المعلومة لوحدها كفيلة بإطلاق خيالي إلى أبعد حد، فانسقت بقوة شديدة للبحث عن اسم هذا الجد ونوعية حاكميته، طفت على كل من عرفت وتمكنت من مقابلته من كبار عائلتنا، وحينما لم أجد لديهم المزيد إتجهت بقوة إلى كتب التاريخ، واستمرت هذه المرحلة سنوات شغوفة بالإثارة، فزادت دهشتي مما قرأت فيها عن ذلك التنوع والغرابة المدهشة لتاريخ مدينتي طرابلس وكيف أن وسائل الإعلام لا تهتم بذكرها رغم دهشتها، حتى أنني في سنوات تمكنت من جمع أمهات كتب التاريخ والآثار الليبية في مكتبة غرفتي المتواضعة في بيت أبي (وهي على أي حال ليست كثيرة.) بالإضافة طبعاً إلى كتب علمية وثقافية أخرى، كان هدفي الأول هو البحث عن جد العائلة، وقد نجحت في تدوين شجرة عائلة للمرة الأولى وصرت مصدر العائلة في تفاصيلها، غير أنني لم أصل للأسف إلى سيرة جدنا الأول، بدل ذلك صرت ملماً بشكل جيد جيداً بتاريخ مدينتي وتاريخ بلادنا ليبيا عموماً، حتى أنني صرت المستشار التاريخي للأقارب والأصدقاء، وبدأت أكتب وأنشر وأحاضر بغزارة عن الكثير من الأحداث المشرفة والمدهشة التي كنت أنتقيها لفرادتها ولثرائها بالحكم والمواعظ، مركزاً على تلك المنسية والمهملة من إعلام بلادنا.

ثم كانت المفاجأة أيام دراستي الجامعية حينما وجدت أن إحدى أدق وأهم طرق تأريخ الآثار (أي كشف عُمرها) وإثبات الكثير من الأحداث التاريخية هي الطرق الإشعاعية، حتى أنه صار من غير الممكن الحديث عن علم الآثار والمخطوطات دون مساهمة مباشرة من الأشعة النووية، وكانت النتيجة النهائية أن اندمج اهتمامي التاريخي والأثري والنووي في قصصي الخيالية العلمية للكبار، وأحب أن أوضح هذه الكلمة دائماً لأنني لم أكتب خيال علمي للصغار.

أما عن النقد الاجتماعي فمساره كان موازياً بحكم أنني مواطن ليبي يقيم في ليبيا طوال عمره، فعاش متناقضات هائلة ما بين اهتماماته «المورثية» (الجينية) ومعيشته اليومية البعيدة جداً عن اهتماماته هذه، فكان لابد لي – لحفظ توازني الفكري – من أن أقف وسيطاً بين هذا وذاك، بنقد التخلف والخطأ من ناحية وتقديم البديل العلمي المتحضر له من ناحية أخرى،

(على أي حال أنا حائر كذلك كيف أمكنك الجمع بين الاقتصاد الزراعي والتاريخ القديم).

2. الليبي: «مُشْكلة إيمانية» كان عنوان كتابك الأول في الخيالَ العلمي، في الوقت الذي كان عنوان كتابك الأول عن الثقافة العامة المتعلقة بالطاقة النووية هو: «أتصدق؟ الطاقة النووية في بيتك»، أليس خيالاً علمياً بدوره أن نخبر مواطناً يعيش في دولة مليئة بدواعي الشد إلى الخلف أن الطاقة النووية في بيته؟

× في الواقع أنا لم أبالغ ولا كذبت حينما سلطت الضوء في كتابي الأول على حقيقة حياتية اكتشفتها أثناء دراستي الجامعية وهي أن الأشعة والطاقة النووية هي اليوم – وبخلاف ما يظنه الكثيرون – تعيش معنا في حياتنا اليومية في عمق بيوتنا، لا مجرد جانبها التدميري الذي تحاول وسائل الإعلام الموجهة أن تقنعنا بأنه الوجه الوحيد لهذه الظاهرة الطبيعية التي خلقها جل شأنه مثلما خلق الظواهر الطبيعية الشقيقة لها كالضوء والصوت والمغناطيسية، فالأشعة النووية «الطبيعية» تخرج من طوب البناء ومن حليب الأبقار ومن صخور معينة، بل أن حياتي العلمية والبحثية أكدت لي أنه لن تخلو أي مجلة بحثية (الجورنال) في أي مجال علمي من ذِكر لإحدى الطرق الإشعاعية النووية التي تستخدمها في البحث والتحليل، سواءً كانت متخصصة في الزراعة أو الصناعة أو الطب أو ريادة الفضاء أو التنقيب عن المعادن وأولها النفط، بل هناك مساهمة حقيقية كبيرة بلا أي مبالغة للأشعة النووية في حماية البيئة من التلوث وكشف وقياس تلوثها بكفاءة عالية. هذه هي الحقيقة التي أعمل على إيصالها إلى المواطن الليبي العادي غير المتخصص، ليس بالاستناد على الأبحاث الغربية، بل أنني وضعت في كتابي هذا منهجاً صارماً أستند فيه أولاً إلى تطبيقات «ليبية» ثم عربية ثم أفريقية ثم من العالم الثالث، وقد وجدت الكثير من التطبيقات الإشعاعية في بلادنا أدهشتني أنا كمهندس نووي كاتب لهذا الكتاب قبل أن تدهش القراء الذين نفذت الطبعة الأولى والثانية من هذا الكتاب بفضلهم، إذ لم أكن أتوقع في بداية كتابتي لكتابي هذا أن الأشعة النووية لها استخدام اعتيادي في أكبر مستشفيات مدينتي طرابلس (مركز طرابلس الطبي)، بل أنني وجدت فيه قسماً

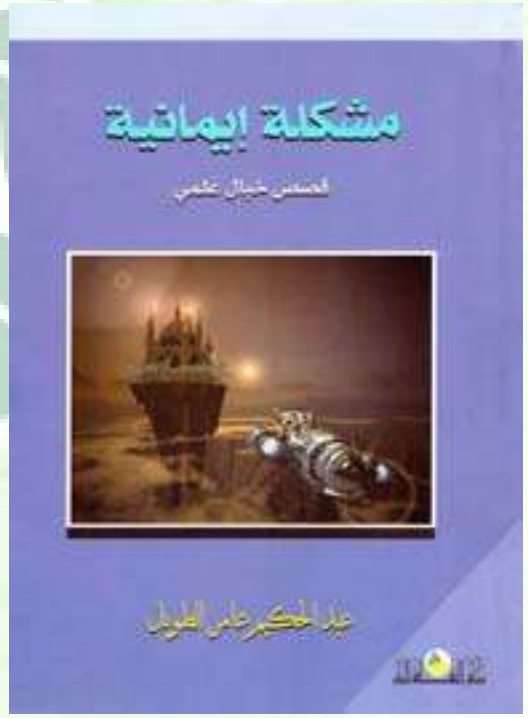

مستقلاً للطب النووي بمكاتبه ومختبراته، كما دهشت حينما وجدت مستشفيات محلية أخرى تستخدم التقنيات والعلاجات النووية في علاجاتها وتشاخيصها ذكرتها في الكتاب، وجدت كذلك استخدامات إشعاعية في مصنع التبغ بطرابلس وفي شركات التنقيب عن النفط العاملة في بلادنا وغيره مما يتعذر ذكره كله في هذا الحوار، كما أن الكثير جداً من المنتجات التي نستخدمها في حياتنا اليومية مثل بعض ملابسنا وبعض أطعمتنا قد عولجت بتقنيات إشعاعية قبل أن تصل إلى بلادنا لحفظها من التلف، (وتجد أن صانع بعضها يذكر هذه الحقيقة بوضوح على غلاف منتوجه)، وفي مجال إنتاج طفرات نباتية جديدة أكثر إنتاجاً ومقاومة للجفاف والملوحة فإن للأشعة النووية أكثر من قصة نجاح تاريخية مدهشة، بالطبع أحدثك هنا عن طرق صناعية وصحية تزيد من جودة وكفاءة المستورد ولا أتحدث عن تلوثه بالأشعة، بل صار تقليداً في منافذنا في الشرق والغرب أن لا يسمح بدخول أي منتوج إلا بعد أن يحضر مستورده شهادة من قسم مختص بمركز البحوث النووية بتاجورا تثبت خلو المنتوج من أي تلوث إشعاعي، لذا فحينما قلت إن الطاقة النووية في بيتك كنت أصف حالة

معيشية يومية فعلية لم أبالغ ولم أكذب بشأنها، أما هدفي من هذا فهو ترغيب الشباب الليبي ليلجوا هذا العلم الراقي الدقيق والمتوفر مجاناً في بلادنا، وكنت أستهدف بالذات أولئك الذين يؤمنون بذلك الرأي الخاطئ بسذاجة وهو أن الهندسة النووية مجرد علم يستهدف صناعة المتفجرات النووية، والحقيقة هي أنه لا يعقل أن يتم تدريس علم عسكري وسري وخطير كما يعتقد الكثيرون في كلية مدنية بجامعة مدنية هكذا أمام الخالق وعباده كما يقال، فهؤلاء بكل أسف منهم كبار مسؤولين لم يساعدوا في نشر هذه المعرفة التي كان من شأنها شد مواطننا – الذي يعيش في دولة مليئة بدواعي الشد إلى الخلف – إلى الأمام بخطوات واسعة خطتها عدة دول عربية وحصدت منها الكثير من التنمية والتطور في حياتها اليومية.

3. الليبي: في مجموعتك «بنت أبيها» وبالتحديد في قصة «مذكرات آلي»، وكأنك تنحاز إلى سطوة المشاعر البشرية وقدرتها على التغلب في نهاية المطاف على قدرة التقنية مهما بلغت من تطور، لماذا يُصِر البشر على الانحياز دائماً للخروج عن سيطرة التنظيم؟

ربما لأنهم يتميزون عن الآليين بميزتيْن: أولاً لأنهم هم من صنعوهم، وبالتالي هم أكثر دراية ببداياتهم وطريقة عملهم وطريقة تنفيذ نهاياتهم، ثانياً لأن الإنسان مزيج من جسد وروح، بينما الآلي جسد ووعي استمده من الإنسان، فهو تراكم أو حصيلة منه، لكن بالطبع قد يطغى الآلي ويسيطر على البشر، غير أن شر البشر يبقى بلا حدود.

4. الليبي: في مسابقة «الفضائيون» لقصص الخيال العلمي التي نظمتها الجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي، فزت بثلاثة مراكز، هل من المألوف أن يفوز كاتب واحد بأكثر من مركز؟ أم أن طبيعة هذه المسابقة خاصة وتختلف عن غيرها؟

× ذلك لأن لجنة التحكيم إعتمدت على نظام محدد بدأ بجمع كل القصص المرسلة ثم إزالة إسم الكاتب وجنسيته منها وكل ما يمكن أن يُعَرِّف به، لتسلم بعد ذلك مبهمة لمُحَكِّم «من خارج الجمعية»، يثقون في قدراته اللغوية والأدبية القصصية، وبعد أن يتمعن جيداً في القصص يمنحها درجات وفق جدول تقييم تتوزع فيه الدرجة النهائية على درجات جزئية لكل من اللغة والأسلوب والحبكة والابتكار، ثم يسلم النتائج التي وصلها إلى لجنة التحكيم في الجمعية مبهمة الأسماء كما استلمها، ليعاد إليها أسماء أصحابها وتعلن عنها في صفحتها الرسمية، وبما أنني احترت أي من قصصي أنسب للمشاركة إستأذنتهم في أن أرسل لهمً 3 قصص ليختاروا هم منها المناسبة للاشتراك في المسابقة. لكن يبدو أنهم دفعوا بالقصص الثلاث إلى المُحَكِّم ليتركوا له هو مهمة الاختيار. وهكذا، وبما أنه لم يكن يعلم أن هذه القصص الثلاث هي لمؤلف واحد كانت النتيجة بهذا الشكل المفاجئ، وربما لو علم بأن كاتبها واحد لما منحني 3 مراكز. على أي حال بعد الإعلان عن النتيجة يمنحون الفائز بأكثر من مركز جائزة وشهادة مقابل المركز الأعلى الذي ناله دون الأخرى.

5. الليبي: كتابك الثالث كان بعنوان: «خفايا جديدة مثيرة تكشفها مقبرة طرابلس البروتستانتية»، هل نُدين للمقابر بالكثير من أسرار حياتنا الآن؟

إذا فهمت سؤالك بدقة فسأجيبك بنعم، فكم من أعمال وآمال

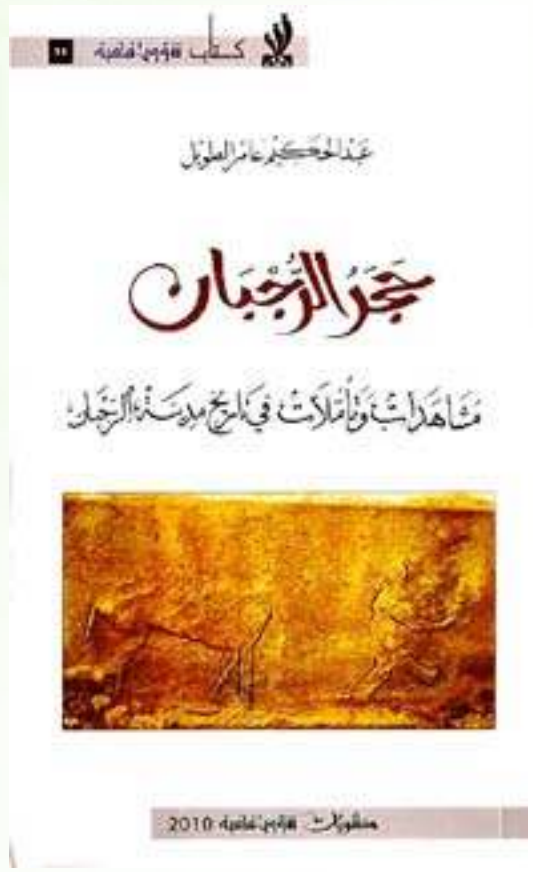

ومخططات ومشاريع غير منجزة محجوزة الآن في المقابر لا نعلم إلا القليل أو حتى لا ندري شيء عنها، وكم من أعمال منجزة اليوم كان الفضل فيها أو بدايتها شخصية أو فكرة أو رأس مال يرقد صاحبه الآن بداخل مقبرة دون علمنا، وما «الإرث» إلا نتاج مباشر لما تختزنه المقابر من قدرات.

أما كتابي هذا فقد سمح بنشر معلومات وصور عن تاريخ طرابلس وليبيا لم تكن معروفة إلا لدى أقاربهم، وحينما تحصلت عليها منهم أو من وثائق مرتبطة بهم انسابت الكثير من الإجابات والتوضيحات للكثير من الأحداث الطرابلسية والليبية وأسبابها من قبورهم بعد أن بقيت مبهمة إلى حين صدور هذا الكتاب، الذي ضم نحو 1000 صفحة متخمة بالصور والوثائق الأجنبية التي تنشر لأول مرة في أي لغة.

6. الليبي: تحصلت على الجائزة الأولى في معرض للصور الشمسية رعته الدار الليبية للفنون والمركز الفني لحماية البيئة في ليبيا، كيف هو شغفك بالنظر إلى السماء؟ وإلى أي حد؟

الحقيقة كانت هناك 3 جوائز أولى لثلاث مواضيع مختلفة تفرعت إليها المسابقة، وكنت قد تحصلت على الترتيب الأول في موضوع البيئة الطبيعية، والذي تعد السماء غطائها الطبيعي، أما شغفي بالنظر إليها فقد بدأ منذ أن رأيت بعيني هبوط الإنسان على القمر في 1969 كما ذكرت لك في سؤال سابق، ثم زاد شغفي بها حينما قرأت لإحدى شخصيات الكوميكس في طفولتي كلمة إنحفرت في ذاكرتي: ((أستغرب كيف تذهب الناس إلى النوم ليلاً والسماء تقدم لنا عرض كوني مدهش من الأضواء والخيال في كل ليلة.)) منها صار من اهتماماتي قراءة خرائط النجوم ومجموعاتها وحفظ أسمائها ومتابعة أخبار منظمات الفضاء الأوروبية والأمريكية، حتى أنني كنت في جلسات الشاي التي تعقب وجبة العشاء أُسَلِّي السياح والأصدقاء الذين كنت أرافقهم في رحلات سياحية إلى دواخل الصحراء الليبية بالإشارة إلى المجموعات النجمية (البروج) وذكر أسماء أشهر نجومها ذوات الأصل العربي والأساطير التي حاكها القدماء حولها وكيف استفاد الإنسان منها في معرفة اتجاه الشمال والجنوب في تيه الصحراء وظلامها، منهم على سبيل المثال المهاجرين الأفارقة غير الشرعيين إلى ليبيا، حيث كانوا يوصون بعضهم في رحلاتهم الليلية السرية إلى ليبيا بالحرص على جعل النجم القطبي دائماً فوق جباههم، وجعل نجم سهيل دائماً فوق جباههم عند عودتهم إلى بلدانهم، إذ من المعروف أنه في الوقت الذي يعد فيه النجم القطبي دليل الليل نحو الشمال يظهر نجم سُهَيْل بلون أصفر جميل إلى الأعلى بقليل من الأفق الجنوبي، وبما أن بلدانهم تقع إلى الجنوب من ليبيا تتبين لنا أهمية سُهَيْل لكل من يود اختراق صحراء الجنوب الليبي نحو دول الساحل.

7. الليبي: ذكرت في سيرتك الذاتية ما يلي: «أعتز بأنني اكتشفت وأعدت اكتشاف أكثر من مبنى أثري ليبي، كما ساهمت طواعية وبلا أي تكليف من أي جهة في حماية أكثر من موقع أثري آخر»، شخصياً، أعتبر هذه مأثرة ينبغي الإشادة بها، حدثني عن تفاصيلها لو سمحت.

في 1985 تأسس مشروع إدارة وتنظيم المدينة القديمة

«إطرابلس» بمساعي شخصية كبيرة من ابنة هذه المدينة «فوزية شلابي»، لقد فرحت كطرابلسي بما اعتبرته عملية إنقاذ تاريخية عاجلة ودائمة من الإزالة لهذه المدينة المتوسطية المثقلة بالآثار الليبية بعد أن كان بعض المسؤولين يخططون لاستبدالها بناطحات سحاب عصرية، لكن هذا المشروع أثار قلقي كذلك، إذ فجأة صار الكثير من كبار المسؤولين يعتقدون أن آثار طرابلس هي فقط في مدينتها القديمة، نعم صرت مطمئناً على آثار طرابلس القديمة بحكم وجود هيئة رسمية من الدولة الآن تعج بالخبراء تعمل يومياً على حماية هذا الكنز المتوسطي، لكن بحكم انتماء أبي إلى عائلة استوطنت ضواحي طرابلس القديمة منذ العهد القرمانلي على الأقل (فيما عرف تاريخياً بضواحي الساحل وسوق الجمعة وعين زاره والمنشية وواحتيْ قرجي وقرقارش) ونظراً لشغفي كما ذكرت في إجابة سابقة بالبحث في أصول تاريخ عائلتي، فإن ذلك جعلني ومنذ عمر مبكر أهرول وراء كل ما كتب عن تاريخ وآثار هذه المدينة حتى صارت غالبية أمهات كتب التاريخ والآثار الطرابلسية تجلس في أحد رفوف مكتبتي، مما جعلني أشعر بقلق عميق بشأن مصير عشرات المباني والمواقع الأثرية التي تعج بها ضواحي طرابلس خارج مدينتها القديمة، فلا هيئة رسمية تهتم بها ولا مصلحة الآثار قد سجلتها في سجلاتها! وبما أنني ما وجدت مسؤولاً ولا كاتباً يهتم بهذا الذخر الأثري آنذاك أليت على نفسي منذ أوائل تسعينيات القرن الماضي أن أتولى هذه المسؤولية، بلا مقابل ولا إمكانيات! مجرد شعور الواجب يدفعني بحكم إيماني بأن الاهتمام بالآثار ليس من هوايات كبار المسؤولين ولا المواطن العادي وإنما هي دائماً مسؤولية المثقف أن يخوض مهمة التوعية وحماية إرث الوطن، فالجاهل والأجنبي وعديم الوطنية لن يقوم بهذه المهمة على أي حال! فبدأت في كتابة سلسلة مقالات عن آثار هذه المنطقة ونشرها في العديد من الصحف والمجلات المحلية والخليجية، حيث كنت أول من يشير إلى أثرية الكثير منها، وأول من ينوه بأهميتها الأثرية في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية عبر تعاون كريم من بعض الأصدقاء الإعلاميين، حتى أنني فوجئت حينما أخبرتني موظفة بمصلحة الآثار بأنهم يجمعون ما أكتب ليفتحوا به ملفات جديدة لآثار طرابلسية لم يكن الكثير من خبراء المصلحة يدرون شيء عن أثريتها

ناهيك عن موقعها، ولهذا سعيت جاهداً لإقناع رئيس مصلحة الآثار بضرورة ليس فقط تسجيل هذه المواقع في سجلاته لتحظى بحماية قانون الآثار بل ولإعادة توظيفها كذلك في مشاريع ثقافية جديدة، المشروع الذي قدمته فعلياً إلى عميد بلدية طرابلس في سنة 2000 بناءاً على طلبه بعد أن أعلمني بأنه يتابع السلسلة التي كنت أكتبها عن هذه الآثار في إحدى الصحف الرسمية آنذاك، غير أنه لم ينفذه للأسف رغم وعوده. لكن الحمد لله، اقتنع رئيس مصلحة الآثار بأهمية قولي فأصدر قراراً بأثرية غالبية قائمة آثار طرابلس التي قدمتها له، ثم تتالت كتاباتي عنها هادفاً أن تكون مجرد خطوة تمهيدية لنشر كتاب بالخصوص، الذي صار الآن 3 أجزاء قدمت جزءه الأول إلى المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، وانتظر صدوره بفارغ الصبر، وكم سعدت بقبول نشره له رغم كل الصعوبات المالية «والمصيرية» التي واجهها ومازال يواجهها هذا المركز، وإنني أدعو الله أن يوفقني لأكمل جزئيْه الثاني والثالث قبل أن يضعف البصر والذاكرة وحبر القلم. على أي حال في مقدمة الجزء الأول من هذا الكتاب ذكرت تفاصيل إضافية لقصة ملاحقتي لآثار هذه المنطقة وجهودي مع كبار

المسؤولين للتعريف بها وحمايتها من الإزالة، وسيكون من دواعي فخري أن أهديك نسخة منه إذا نُشر.

8. الليبي: قلت إنك «دخلت كأحد شخصيات رواية «يانا علي» الصادرة عن دار ليبيا للنشر للروائي الليبي المعروف محمد الأصفر، شخصياً، أعرف أن الكثيرين يتحاشون أن يذكرهم محمد الأصفر في رواياته المميزة، لأنه يكتب نقلاً مباشراً لا مواراة فيه، كيف كانت تجربتك مع الأصفر هذه المرة؟

نعم! حذَّرني أصدقائي في بيت درنة الثقافي من ذلك حينما دعوني في صيف 2005 لألقي محاضرة فيه مساء 2005/06/14 بمناسبة الذكرى الـ200 لتحرير مدينة «درنة» من الغزو الأمريكي الذي تعرضت له! هناك التقيت لأول مرة شخصياً بمحمد الأصفر بعد أن كنت أتابعه عبر قصصه ورواياته المنشورة، كان حينها يكتب ويكتب على حاسوبه النقال في صمت حتى حينما كنا نتسامر أو نتناول وجبات الغداء أو العشاء، وحينما سألتهم عن سر استغراقه هذا قالوا لي إنه منهمك في كتابة رواية جديدة، وربي يسترها معاك، لأنك لا محالة قد دخلت فيها، سألتهم كيف؟ فقالوا لي هذا هو أسلوب «محمد» في رواياته، يكتب بشكل مباشر لا مجاملة فيه بما يحلو له أن ينتقيه من مشاهداته وحواراته وشخوصه الذين هم من حوله، وحينما اعتليت خشبة مسرح بيت درنة الثقافي في ذلك المساء واستهللت محاضرتي المصورة لاحظت بوضوح أن «محمد» وزوجته يجلسان في الصف الأول، وهكذا بدل أن أركز على كلمات محاضرتي أصابتني رجفة حينما تخيلته يصنع صورة ساخرة لي ولمحاضرتي في روايته القادمة، يجمع فيها ما رصده من زللي غير المقصودة هذه الليلة، ثم بقيت أحمل هذا الهم إلى اليوم الذي اتصل بي ليهديني نسخة من روايته، في ذلك اليوم ازداد قلقي بشكل عنيف حتى أنني قررت إلغاء كل مشاغلي ومواعيدي إلى حين فراغي من قراءة هذه الهدية، فلا تتصور سعادتي الكبيرة بعد كل هذه الشهور من القلق حينما وجدته صنع صورة محترمة راقية لي في روايته هذه بلا أي مس ولا تجريح، بل أنه كتب قصة نشرها في أحد المجلات المحلية ختمها بنص محاضرتي هذه الحرفي بكل أمانة واحترام وبلا أي تعليق شاكراً له جداً

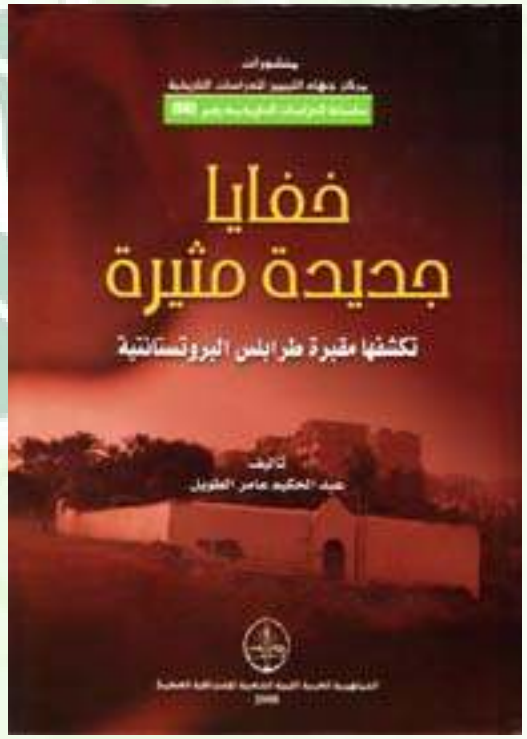

كل هذا الاحترام.

9. الليبي: تم اختيارك من قبل قناتيْ التلفزيون الإسباني الأولى (tve) وقناة «أون بورتادا» (En Portada) الأسبانية لتكون إحدى الشخصيات الثقافية الليبية التي أجرت مقابلات معها ضمن برنامج مطول تسجله عن ليبيا، كيف وجدت التعامل مع القنوات الأسبانية؟ هل تختلف كثيراً عن منهج إعلامهم في التعامل والمهنية؟

الحقيقة كان إسمي قد اقترحه على هذا الفريق صديقي الطبيب والقصاص الليبي المهاجر «غازي القبلاوي»، وقد كنت طوال يوم 2008/05/10 أحد الشخصيات الليبية التي أتاح لها هذا البرنامج فرصة الحديث عن جانب من جوانب الثقافة والحضارة الليبية، حيث كان عمل هذا الفريق في ليبيا مهنياً استهدف عرض حقيقة أعماق سياسة وتاريخ وآثار ليبيا التي لا يدري عنها المشاهد الأسباني بعد سياسة الانفتاح التي حاول القذافي تنفيذها بقيادة إبنه «سيف»، كما كانت لفتة جميلة أن حاول هذا البرنامج – رغم أنه سياسي – التعريف

بشخصيات ليبية مثقفة وبعض من معالمها السياحية والأثرية شرقاً وغرباً، مما جعلني أرى فارقاً واضحاً بين طريقة العرض الأسبانية وطريقة العرض الفرنسية أو البريطانية أو الأمريكية، ولا أدري كيف شعرت بحسن النية والبحث عن الحقيقة في هذا العمل، قد أكون مبالغاً طغت عليَّ مشاعر العاطفة المشتركة التي لمستها من أعضاء الفريق من طريقة تعامله معي! فقد بدى لي ذلك العربي المسلم الأندلسي يتسرب من تعابير وجه ولغة جسد فريق هذا العمل الأسباني، حتى النبرة وردود الأفعال المتوترة والغضب الذي كان ينشب بين أعضاء هذا الفريق نتيجة اختلافات في وجهات نظرهم حول مدى استحقاق بعض اللقطات للتصوير كانت تنضح بالعروبة والإسلام، لدرجة أنني لم أستغرب قولاً سمعته فيما بعد من إحدى المسلمات الإسبانيات المعاصرات وهو أن نصف إسبان اليوم أصولهم عرب وأمازيغ مسلمين.

10. الليبي: في قصة «بنت أبيها» تفتح باباً مدهشاً لفكرة الاستنساخ باعتبارها محض خيال علمي، ولكن، بشكلٍ أو بآخر، ألسنا بدورنا نسخاً من غيرنا؟ أسلافنا الذين شكلوا شخصياتنا حتى قبل أن نولد؟

مبدئياً، الخيال العلمي يحاول أن يستشرف مؤثرات الحقيقة العلمية والتقنية التي لم تتحقق بعد، وبخلاف الفانتازيا هو خيال يعتمد على قوانين وقواعد العلم التطبيقي ولا يحيد عنها، بخلاف الفانتازيا التي لا تعتمد على القواعد العلمية، ولهذا تُعد قصص السحرة والغيلان والعمالقة والتنانين ومصاصي الدماء وأقزام الغابة والجِنِّيات ضمن أدب الفانتازيا لا ضمن أدب الخيال العلمي، لأنها لا تخضع لقواعد الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا، ولهذا لا يمانع أدب الخيال العلمي في أن يعترف بأننا فعلاً نسخ من غيرنا مادامت قواعد البيولوجيا والكيمياء تثبت ذلك، غير أنه قد يشتط كثيراً ويتقدم أكثر في هذا الملف فيقدم لنا خيارات واحتمالات جديدة إضافية تحتكم لقواعد الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا حول شكل تناسلنا واستنساخنا لبعضنا البعض مستقبلاً، أنا شخصياً عالجت هذا الملف في أكثر من قصة لي حيث تصورت في إحداها على سبيل المثال بعض الحيوانات المتطورة بعد آلاف السنين من الآن أعادت الحياة إلى بعض خلايا أحدهم (وهذا ممكن على الأقل نظرياً طبقاً لقواعد الاستنساخ المعروفة) بغرض محاكمته نيابة عن كل الجنس البشري بتهمة تعذيب أسلافهم وسلب حقوقهم الحياتية وحريتهم دون إرادتهم!

11. الليبي: في ملحمة جلجامش العظيمة، يبحث بطلها عن الخلود، ألم يكن هذا نوعاً من الخيال العلمي لنص تمت كتابته منذ أكير من 4 آلاف سنة من الآن؟

أعتقد أن البحث عن الخلود أمنية بشرية قديمة قِدَم وجود الإنسان على الأرض سبقت كل ما اكتشفه من قواعد علمية تطبيقية بغض النظر عن أي تصنيف للأدبيات التي جاءت فيها، إذ تجده في الأساطير والقصص الخيالية وحتى في الأديان والمختبرات العلمية الحديثة، لكن إذا اعتمدت وسائل الخلود في هذه الملحمة على القواعد العلمية الثابتة المعروفة في الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا فستكون أول الخيال العلمي في التاريخ، وإلا فستكون ضمن أدب الفانتازيا، أي خيال غير علمي، لأنه لا يعتمد على قواعد الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا الصارمة ولا حتى المنطق، هذا هو المؤشر الفيصل بين هذين الأدبيْن، ومن قراءتي لهذه الملحمة وجدت أن الخلود فيها جاء عبر لمسة من يد آلهة أسطورية وأكل نبتة بحرية سحرية، وهذا ما يجعلها ضمن أدب الفانتازيا بامتياز، فليس هناك قاعدة علمية تطبيقية تُثبت وجود آلهة لها لمسة سحرية، كما لم نعرف في المملكة النباتية نبتة سحرية تمنح الخلود لآكلها، ناهيك عن أنه لم يأكلها.

12. الليبي: في ملحمة «الرامايانا» الهندية ثمة «أكامبان» الذي يمتطي عربته الهوائية، وهناك «ماريش» الذي يتحول إلى غزال، هل يمكن أن نقول إن الخيال العلمي هو ابتكار هندي في الأساس؟

نلاحظ أن العربة الطائرة في هذه الملحمة وملكة التحول إلى غزال قد جاءت من عالم الشياطين، وهو لا يخضع اليوم لقواعد وقوانين العلم التطبيقي ولا يعد حتى نتاج لها، لذا هو – كما ذكرت لك منذ قليل – خارج الخيال العلمي رغم أن الكثير من الكتابات تُخلط بالفعل بين هذيْن النوعين من الأدب، حتى أنهم اعتبروا الكثير من الأساطير القديمة ضمن هذا الأدب رغم أن

قواعد العلم التطبيقي والمنطق لا تثبت صحتها، ومع ذلك، لو اكتشفنا في أي يوم من الأيام القادمة قاعدة أو قانون فيزيائي يثبت وجود عالم الشياطين أو السحر أو حتى بعض شخوصه فإنه حينها يمكننا – وبجرة قلم – ضم كل الأساطير السحرية والشياطين إلى عالم الخيال العلمي بما فيها شخوص ملحمتيْ جلجامش والرامايانا وأفعالهم!

على أي حال ما يقلقني بشدة هو تصنيف بساط ريح «علاء الدين» على الرغم من أنه كان نتاج لسحر جني مصباحه، هل يمكن أن نعتبره «خيال علمي»؟ أفليس هذا البساط هو جَد العربة البرمائية «الحوَّامة» Hover Craft – وإن كان مداه أعلى بكثير منها –؟ إنها مثل فكرة بساط ريح «علاء الدين» تطير بالفعل فوق سطح الأرض والماء دون ملامستها، معتمدة على قواعد الجاذبية والدفع الهوائي أسفل العربة مما يصنع وسادة هوائية يمكن للعربات الثقيلة أن تنزلق فوقها كبساط الريح، أم أنه جَد الطائرة الشراعية الصغيرة على الأقل؟ في هذه الحالة ألا يجب اعتبار مؤلف قصته هو رائد أدب الخيال العلمي؟ على أي حال في دراسة جديدة قرأتها مؤخراً تقول بأن قصتا «علي بابا والأربعين حرامي»، و«علاء الدين ومصباحه السحري» هما للرحَّالة والأديب السوري الماروني «حَنَّا دياب»، وأنهما نُشرتا لأول مرة سنة 1712 (أي بعد سنة من نشوء الدولة الليبية القرمانلية) ضمن الترجمة الفرنسية لمجموعة ألف ليلة وليلة التي قام بها الفرنسي «أنطوان جالان»، حيث أنها المصدر الوحيد لهذه القصة، ويعترف «جالان» في مذكراته بأنه التقى شخصياً بِحَنَّا في 1709 وأنه مصدره لهاتيْن القصتيْن، فإذا صح رأيي بأن بساط ريح «علاء الدين» هو خيال علمي فسيكون مؤلف قصته «حَنَّا دياب» هو رائد أدب الخيال العلمي العربي لا الأديب المصري «توفيق الحكيم» (1898–1987) كما هو شائع الآن.

13. الليبي: من «إسحق عظيموف» وروبوته الشهير وشمسه العارية التي تنبأ فيها بلجوئنا إلى ممارسة الحياة منعزلين عن بعضنا - وهو السلوك الذي بدأنا في اتباعه مع أزمة «كورونا» الآن - نهايةً برحلة «فيرن» التي سبق بها وكالة ناسا إلى القمر، وكذلك غواصته المستقبلية (آنذاك) في روايته «20 ألف فرسخ تحت سطح البحر»، يحق لنا أن نسأل الآن: هل مهمة أدب الخيال العلمي أن يتنبأ؟ هل هو نوع من الكتابة الغيبية التي تقوم دائماً باستشراف المستقبل؟ هل عليه أن يتنبأ لكي يصبح أدباً معترفاً به؟

لا أدري إن كانت هذه هي مهمته لكن من المؤكد أنه قام بها على أفضل وجه، على الأقل بالاعتماد على هذه الأمثلة التي ذكرتها في سؤالك أعلاه، والواقع يؤكد على أن ما يُشغِل كاتب الخيال العلمي هو تأثير المخترعات التقنية والاكتشافات العلمية على حاضرنا ومستقبلنا، فهو إذاً منشغل حقاً باستشراف مستقبل حياتنا وطريقة تفاعلها مع مخترعات واكتشافات الحاضر سواء كان تفاعل سلبي أو إيجابي، وفي خضم بحثه الفكري هذا يقدم توقعاته وحلول ونصائح وتحذيرات مبنية على القواعد والقوانين والنظريات العلمية المثبتة، لذا سَمِّه توقع أو تنبؤ إذا شئت، فهذا هو ما يشغل كاتب الخيال العلمي، ولم يعد بحاجة إلى أن يعترف به أحد منذ أن تحققت توقعاته (أو نبوءاته)، ليس بالصدفة ولمرة واحدة بل يشهد التاريخ أنه أصاب في توقعاته بأكثر مما يتمنى.

14. الليبي: تحدثت في إحدى محاضراتك عن الفوائد القرآنية للآثار، كيف يمكن أن تقربنا من هذا المعنى؟

لو تسمح لي أن أُوجل إجابة هذا السؤال إلى أن تأتيك مفصلة في كتاب لي أعمل عليه بجهد منذ سنوات أحاول فيه الربط بين مواعظ القرآن والهدف الرئيس من علم الآثار.

15. الليبي: مجالات اهتماماتك عديدة ومتشعبة، لو خُيِّرت ذات يوم وأجبرت على اختيار مجال واحد فقط، أيها تختار ولماذا؟

عزف الموسيقى، فأنا مارست العزف الموسيقي بشكل متواصل طوال دراستي الابتدائية منذ صفها الثالث. إذ كنت عضو رئيس في فرقة مدرستي الابتدائية الموسيقية، أعزف على آلة الإكسيليفون (نقرية) ثم آلة الميلوديكا (نفخية)، ثم صرت عازف رئيس في فرقة مدرستي الإعدادية على آلة الأكورديون، ومازلت أتذكر أجمل الذكريات التي شاركت فيها كعازف وممثل في الحفلات الفنية التي أقامتها مدرستي الابتدائية ثم الإعدادية فوق مسرح الكشاف ومسرح كلية

العلوم بجامعة طرابلس ومسارح عدة مدارس في طرابلس، على أي حال ربما لا نستغرب هذه المُوَرِّثَة (الجينة) الموسيقية إذا علمت أن أبي (1931–2013) كان عازف هاوي غير محترف على آلة الساكسافون في شبابه رحمه الله.

16. الليبي: أين حدود الخيال العلمي في دولة تترنح مثل ليبيا الآن؟ عندما يصبح مجرد توفر الكهرباء هو ضرب من الخيال العلمي، أي جدوى لأدب الخيال إذاً؟

بصراحة ليبيا بعيدة جداً عن الخيال العلمي، لكن محاولة نشره بين النشء الجديد واجب لأنه قد يحبب المتفوقين الأقلاء فيهم للعلم والتقنية، ويساعدهم في ترك الأساطير والخزعبلات الدينية والاجتماعية التي مازالت تؤثر سلباً وبشكل كبير على محاولات تنميتنا الاقتصادية والسياسية والإجتماعية، لهذا فنشر أدب الخيال العلمي في مجتمعنا، بل وتاريخية التأثير إن نجحت في استقطاب النشء الجديد عبر أدوات الأدب العامة من قصة مشوقة وحبكة، فمن شأنها أن تهز ثوابته القديمة وقد تدفعه إلى البحث عن القواعد والقوانين والشخصيات والكواكب والمركبات الفضائية التي ذكرتها قصة أثارته ولا يعرف عنها شيء، مما يجعله ملماً بحصيلة علمية جيدة تساعده في مواكبة عصره، في الواقع ودون حتى البحث في كتب الفيزياء والفلك يقدم أدب الخيال العلمي في الكثير من قصصه ورواياته وأفلامه وجبات علمية جاهزة سهلة الهضم تُغني القارئ عن العودة إلى الدوريات العلمية المثقلة بالأوراق البحثية صعبة الفهم عليهم، كما تقدم له إجابات وحلول للكثير من قضايانا التقنية – وحتى العسكرية والقضائية أحياناً– تُغني مكتبته الفكرية من ناحية وقد تدفعه إلى التخصص في أحد هذه العلوم التي تساهم جداً في تنمية مجتمعنا المتهالك البعيد عن تقنيات العصر، إن مجرد مشاهدة فيلم يطرح حقيقة إمكانية المهندس الزراعي في زراعة البطاطا بنجاح في تربة كوكب المريخ من شأنه ليس فقط تغيير الصورة النمطية التي يحملها الكثيرون عن المهندس الزراعي بل لربما حتى يدفعه إلى دراسة العلوم الزراعية ومحاولة سبر أسرار الزراعة الفضائية عبرها.

17. الليبي: أخيراً .. استمرار مجلة ثقافية في بلدٍ يعاني كل هذا القدر من التشتت، هل هو خيالٍ علمي بدوره؟

هو أولاً خيال كان في مخيلة الكثيرين، وها قد تحقق مثلما هو حال جميع المخترعات من حولنا، فكلها بدأت بخيال علمي، وكم عانى أصحابها من الاستخفاف بحلمهم والتشكيك في إمكانية تنفيذه، ثم أن استمرار صدور مجلة ثقافية في مجتمع مشتت متخلف ربما يكون أحد العلاجات الناجحة له حينما تنجح في جمع مثقفي البلد الواحد بلا عقبات عبر صفحاتها، فيتعارفوا ويُعَرِّفوا بفكرهم التنموي المتنور، إن الأمر يحتاج فقط إلى جلد وصبر وعدم اليأس من بطء النتيجة، فإذا كان الفرد بحاجة إلى أكثر من 40 سنة لينضج، لاشك في أن 6 ملايين مواطن بحاجة إلى سنوات أطول، فإذا لم نبدأ الآن، سيكون انتظارنا محسوباً بالسنوات الضوئية.

عن الشعر والشعراء ..

هند زيتوني- سوريا

الشّعر هو أكثر الفنون صعوبةً (السهل الممتنع)، وهو أجملها وأصدقها. وقد قال أفلاطون : ((كل إنسان يصبح شاعراً إذا ما لامسَ قلبه الحُبّ.))، والشّعر كالحب، من الصعب أن تحصل عليه. وهو الصوت الوحيد الذي يقول الحقيقة، بلا خوفٍ أو مواربة. يمنحُ الحياة لكل شيءٍ حوله .لينجو من العدم .

وهو الوطن الذي لا يخذل أحداً ابداً. إنه منجل السلام والمحبة. من الممكن أن ندعوه بالخمر المعتّق الذي لا يفقد أحداً صوابه، وإنما يمنحه دماً آخر، وذاكرةً أخرى وحياةً أخرى يعيشها بطريقةٍ خاصة. وأذكرُ هنا من الشعراء الذين ولدوا من رحم الألم، الشاعر الأمريكي «غريغوري كورسو»، الذي كتبَ الشعر في سن مبكّرة جداً عندما كان وحيداً بلا أم وبلا أب. عاش ظروفاً صعبةً جداً في طفولته وقال : ((الجحيم ما يولدُ منه الشعراء))، حيث امتلأ قلبه بالحزن والفرح ولم يعرف كيف يروي للعالم ذلك. وقد سماه كيتس «جاسوس الله»، كان ينام على أسطح المنازل، وفي ميترو أنفاق مدينة «نيويورك». وكان يسرق أشياءً صغيرة ليعيش. وقد دخل السجن بعد ذلك في سن السابعة عشر. ولكنه قال إنه لم يشعر بأنه كان مقيداً بسبب روحه المرحة وعقليته التي لم تكن ناضجة حينذاك، وقد تعرف على أنواع كثيرة من البشر وقرأ الكثير من الكتب .

وقد قال «غريغوري» : ((الشاعر هو الوحيد الذي لم تتلوّث روحه بالظلام والآثام التي لا تُغتفر. وربما يكون الأكثر تعاسة من البشر. فهو ينادي ويصرخ من أجل الحرية والتغيير، لتتحقق سعادة الإنسان فهو يكتبُ بصدقٍ وشفافية ، وأيُ مديحٍ مزيف هو موت للشاعر . والشاعر يدرك أن العالم يتغيرّ، ولذا عليه التغيّر معه إذا أرادَ البقاء حيّاً. ويكمن سرّ القصيدة والسحر الحقيقي للشعر، في القدرة على جعل مصير أرواح البشرية افضل وأكثر تطوراً. وإذا تشكلت كينونة الشاعر بشكلٍ جميل، فيؤدي هذا إلى تشكّل القصيدة بشكلٍ جميل .))

أي من مهمة الشاعر أن يغيّر العالم، فربما كلمة تكون أقوى من رصاصة. ومن هنا نفهم لماذا اغتيلَ بعض المفكرين والكتاب الذين كان لهم أثر واضح على الشعوب والناس، كما اغتيل في الماضي الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني في ريعان شبابه .

والعالم مكانٌ يصعب على الشاعر العيش فيه، وقد يغدو بالنسبة له مكاناً لا يطاق. ولذا قد يضطّر أن يخلقَ عالماً خاصاً به لم يسبق له وجود. بعيداً عن الكذب والغش والخداع .

فهو يدونّه ثمّ يكشفه لكل البشر ولكل الأزمان. وهذا الشغل الشاغل للشاعر المعاصر قد يتقبّل ما لا مفرّ منه، ولذا عليه أن يتعلّم كيف يعيشه بشكل أفضل. أحياناً يمكن أن يكون الجحيم مكاناً جيداً إذا ثبت للمرء من خلال وجوده ، وجود نقيضه الجنّة

وما الجنّة؟ إنها الشّعرِ .

وإجمالاً الحياة ليست سيئة، ولكن الإنسان هو من يعذّب الإنسان. وهو من يطلق المدافع على البشر، ويصعق بالكهرباء ويجوّع الأطفال، ويتسبب بموت البشرية مع أن الموت لا يملكه أحد. وإذا كان الشاعر قادراً على الشعور بالسلام والفرح ، فبالتأكيد أن البشرية جمعاء تشعر بهما. والحزن كالموت لا مفرّ منه ، وما علينا إلا أن نجعل الآخرين سعداء ، أما الموت فعلينا أن نستقبله كضيفٍ لطيف، قد يأتي ليأخذنا إلى نزهةٍ لطيفة ولكن لا نعود منها. يبقى أن نقول في النهايةٍ بأن الشعر هو : ديناميت ينفجر في وقت معين، على أرضٍ معينة إنّه نبتةٌ سامّة تؤرّق العاطلين عن العمل. تدعوهم للسهر ، والتمرّد والطغيان، للحب والحياة. يرمي مفاتيح الموت في اقصى أعماق البحار. فهو لا يقودك إلاّ للخلود، بعد أن يمنحك تاج البقاء الأبدي. يهديك خاتم النبوّة لتنزل عليك التراتيل، والإيحاءات والقصائد . لترقص على أنغام الحياة مدى العمر. ((ملاحظة : بعض المعلومات أخذت من مقال عن غريغوري كورسو))

نصوص الشاعر الليبي نور الدين محمود سعيد الورفلي ..

خفايا الحس الشعري (1)

عائشة أحمد بازامة. ليبيا

لاشك أنني في قراءتي لنصوص الدكتور الشاعر «نور الدين الورفلي» لن أستطيع الوصول إلى حيث ما يفكر في تثبيت حقائق ورغبات وميول ونزوع حسه النفسي والفكري لاستشراف وقراءة ثراه الشعري الذي تغوص به مفرداته وتؤثث لقصيدته، ووصف سيمائيات وتفاصيل الدقة التي تنتاب نصوصه في مقالة تحليلية واحدة . وسأبدأ بطرح ما حاولتُ جاهدةً أن أنقب عن مبعث الحس الخفي بين سطور بعض نصوصه. لكني أكرر دائماً مقولة الفيلسوف «نيتشة»: ((إن الحب أنانية في أكثر الصور سذاجةً وإصراراً، وأنّه أكبر نوع من الغرور))، فإن جاوزنا حدود هذه المقولة وتجردنا في رؤيتنا لنصوص «الورفلي» وقراءتها – حتماً– نكتشف انطلاق حسه الذي هو جاذب للحب، وأنّ الحب محرك فعال لهذا الحس، فلا يمكننا الفصل بين أنانيته لحب النص واللغة الخاصة به وبين إحساسه المحرك للغته، إن الشاعر «نور الدين الورفي» يغرس محبته في كل حرف يشدو به، ولقد استطاع توظيف فعل الحاضر مسبوقاً بالظرف الذي يعيش فيه لحظته الشعورية بفيض إحساسه بما في نصه ((حين يغفو النسيم)) فسكون حركة النسيم في هذه اللغة قمة الحس الهادىء المتناغم مع النسيم حين يغفو، يتناغم

فيه حسه بالحبيبة لينطلق الطلب بعنوة الحس وعمقه ليكتبها ويقرأ إحساسه بعشقها من بين السطور، وينتشي الحرف بهذا الحب في هدوء وراحة الضوء الخافت. كانت الصورة المرافقة لهذا الحس العميق الصادق لملمة ذكرياتها وجمالها وطلتها نحت ضوء هادىء يكتنفه الإحساس بتلك الحبيبة الهيولي. الفعل «ألملم» حرّك هذا الحس والذي بدأ به النص صور لنا القصيدة منذ الوهلة الأولى لما لفعل «اللملمة» من تأثير لجمع المشتت. يسعى الناص من خلاله على جمع روحين في بؤرة الضوء رغم خفوته بتأثير الحزن، والصورة ترتقي بجمال اختيار وقت الطلب . إنك تستشعر الهدوء ورقة الإحساس في الفعل ((دعيني))، إنّه يدعو حبيبته إلى إحساسه لتشاركه هذا الحس المرهف :

((حين يغفو النسيم .. دعيني ألملم فيكِ الكتابة.. وأقرئكِ، على نورِ مصابيحِ شارعنا الغافيات تحت ظل الكآبة))

ويقوى الإحساس عميقاً ينزفه حروفاً، ويا لشدة الحس حين تنغمس الحروف في هذا النزف، تعامدت الأخيلة وتوازت في النص مع قوة الإحساس فاختيار اللفظة ((أسربل /تشنقه / المآسي / الحروب)) هو ذكاء بلاغي ليفصح عن شدة شوقه وحنينه، فقوة وشدة هذه الكلمات ما أتت للنص إلاّ لتقلب بديهة هدوءه الذي تفجر كأتون حرب داهمت ذاك الهدوء. هذا الانقلاب المفاجيء له دور كبير في خلق الدهشة، وله جاذبية قصوى في لفت انتباه المتلقي. نجح الناص في دفقة الحس حين صورها كشاطيء له جناحين، ما يقطف ندف وغيث الماء من السماء، وما يلبث أن يشرق الضوء وهو يطير حتى تبتلعه المشانق . هذه الصورة تنقل إحساسه الذي خاب وسط حدث خارج عن إرادة ذلك الإحساس الذي أومض كبرق وسط مشاعر الحزن والألم :

((دعيني أسربل نزف حروفي.. على شاطئ متوسطي .. يداه تطيران فوق السحاب لتقطف رمز المزن عند الغروب.. وحين تشرق الشمس تشنقه مآسي الحروب فيومض برقا، دونما أي استجابة))

إن النص التالي في ذات القصيدة، حمّل الفعل البيولوجي ((أذوب)) إحساساً عميقاً، وحوّله من الحالة المادية إلى لحظات تسامي وتماهي لحسه بحكمة فارقة وامتياز متفرد أخضع كل طقوس الذات الشاعرة إلى حرية مطلقة من الوجد، خارجة عن مقاييسه وأفعاله الكلامية، فالذوبان والزمجرة والعناق واللعنة والتوبة هي ألفاظ دالة على حالات حسية، ولنقل إنّ هذه اللغة توافقت مع حالة الشاعر حين طلب الذوبان ليصل مبتغاه من شدة الغضب على ما يحسه نحو حبيبته وما ينالها من ظلم، الحس فاق الكلام في حالة الذوبان.

تتجزأ ظواهر الاتصال الحسية من خلال الأفعال الكلامية واستعمال صيغة الأمر ليدخل الفعل الكلامي في المنظور الدلالي، ليس لتكوينها فقط، بل تصبح دلالة نافذة في السياق، لنقرأ النص التالي :

((دعيني أذوب.. دعيني أزمجر كالمستحيل.. أعانق خيبتي بين الدروب.. وألعن الظلم أمام الطغاة ولا أتوب.

دعيني أحارب بيني و بيني.. أعانق أغنيتي في يقيني.. وأسكب عطر بلادي وأرحل.))

لقد تجانست هذه المقاطع التالية بين السرد والفعل الأدائي في النية والقصدية التي تمحورت في المخيلة، وامتياز متفرد الذهنية في حديثه لحبيبته أن تتمهل كأنه يريدها أن تطيل البقاء.

لفظة ((على رسلك))، كانت الدلالة الواضحة على النية الفعلية الأدائية، وقصد الشاعر في الانتظار وطول الأناة، الامل والصبر والانفعال الداخلي، وهذا الإحساس يعود بنا لبدء النص حيث لا يبتعد الشاعر الناص عن نصه في

إيقاعات إحساسه خطوة وراء خطوة :

((على رسلك حين يغفو النسيم.. لا توقديه بشمع الـذنـوب.. خيـانـة أن تقطعي وتـر الربابة.. رأيت رؤياكِ بين سطوري.. وخلف الخيال وفوق شعوري.. تماثلتِ خصلة ليل بهيم على خاصرة .. وفجر يـداوي جراح اليتامى ويضفي على الليل.. طول اكتئابه .. دعيني أودع فيك الرحيل.. وأغرس سيفي بصحرائنا إلى أن يجاوبني المستحيل.. ويورق ورد الربيع النحيل.. ويهوي العدم.. ويندم من يستحق الـنـدم.. وتسموا العهود مواثيق عهد بلون الدماء كتبناها نحن بحبر الأخوة والكبرياء.. ويسموا الوفاء بلون الألم.. فتقشع غيمة فتن الغباء بمسحة حب على صيفنا.. عتمة عابرة تحت غيم سحابة))

إن التشكل الدلالي عايش التلون بألوان الوقت وسكناته وتسارعه، بل ساح في فضائه اللامتناهي في الذاكرة التي استجلبت ذلك النغم الساحر من فنانة كانت محل اهتمام بالغ من شاعرنا بما لصوتها من عذب الإنشاد والطرب فكانت دلالة «عصفورة الدوري» لها ما لها من تأثير على حس النص الذي غلب عليه الإحساس القوي بالموسيقا والطرب. ذلك المكان (المقهى) دلالة صريحة على تشارك إحساسه المكان لينتقل هذا الحس للنص ناقلاً ذروة الشعور بلحن لصيق بالذاكرة. ونجح الناص في نقل هذا الحس من خلال المزج بين الموسيقا والمغناة والمكان في أنية لونت النص بممهور العشق للورد والشمس في زمن يتوشحه الحزن والألم. إنّها حوارية بين الروح تتمثل فيها قربة من تلك العصفورة التي أخذت بألبابه حين يحيله طربها إلى حالة أخرى، وتبدل حزنه أو تتماهى معه. وفي هذا إحساس فائق بتوحد المشاعر الثابتة في كلمات النص، أنثى عصفورة الدوري تبني في مخيلته أحاسيس كثيرة فتحيل أحزانه لحلم خافق كلاهما غاب فيه. هنا يتحد الحس في منظومة العشق، وهذا حذق بلاغي طبعه الشاعر بطابعه الذكي في التقاط فحوى اللغة التي طوعها للنص. اقرأوا النص :

((أنثى طائر الدوري .. تُغير على مُخيّلتي.. وتبني عشها بالورد.. في مقهى بقافيتي.. تعيد مفاتن الأحزان
في وله على كأسي.. وتنشج تحت عين الشمس.. أمطاراً على يأسي.. فتسرق نوم أجفاني.. من الأعماق زينتها.. تعد الشاهيَ والحلوى.. وتأخذني لشرفتها.. وتغرقني بعطر النرجس البري.. ممتزجاً بضحكتها .. فأرسم تحت مقلتها .. لآليءَ من شذى روحي،.. وأنسج من برائتها.. كتاباً ملؤه بوحي.. فتغفو حين تغفو الشمس.. على أحزان بهجتها.. أعيد نظم أحرفها .. على أضواء شمعتها.. وأسحب وردةً في العش قد كانت وسادتها.. فيوقظها عبير الطيب.. مكتنزاً ببسمتها.. تقولُ غفوتُ ياوجعي.. هي الأيام كالدول.. فيوم ملؤه ألمُ، ويوم ملؤه أملي.. وغرد كيفما شئت.. كلانا غاب في الحلم.))

عندما تعلق الفلسفة بالشعر، وتزخر الحروف بوهج الجاذبية، وتنثال الكلمات لجمال الإبداع، يكون هذا النص الذي بلغ فيه الحس مداه نحو ما أعلنه الفيلسوف «نيتشه» في سابق استدلالنا حيث الحب أكثر أنانية. وحيث ترتفع وتيرة الإحساس بالنفس الشاعرة، لكن اللغة أزاحت هذه الأنانية المفردة لتشتغل على الجمع ، فنبرة اللفظ تجمل بالجماعة لندرك مساحة الحس واسعة الفضاء، انظروا للكلمات، فعنوان القصيدة «نحن الشعراء /هاماتنا / لنا». الفاعلين على لسان النص تعني محاولة تفكيك أنانية الحس إلى أنانية جمعية، ومن هذه اللغة

نستشف انغماس الحس واستشعاره الإنساني المحبب إلى إرادة الشاعر في طرح نصه ليشمل إحساسه القريب واللصيق بالجماعة وهم الشعراء . هذا التصوير الدمجي وظف أحسن توظيف ليصبح إنسانياً حسه بالحب طالما تغنوا بالمطر، وكنت تمنيت عليه غناؤهم بالغيث. والقمر دلالة رائعة على الحافز لهذه الهامات بالغناء، لأنه حكى عن شاعر عاشق. هذا التحفيز كان وراءه صوت الشاعر في خفوت، ذلك الذي حمل الإحساس بالعشق والوله ما كان إلاّ صوت النص الذي يرفع صوته ناقلاً هذا الحس بقوة، وسكب حروفه وحبره على قافية الكلمة التي صورها بالخيول الجامحة والعقود الفاخرة في اعناق الجميلات. بدا لنا الإحساس هنا في أجمل تصوير مع حبكة الأخيلة ليؤدي مهمة الإبداع في النص بصوت الجمع، وكانت هي انطلاقة لفلسفة الناص حيال هذا النص الذي حول الأنا إلى نحن :

((نحن الشعراء..هاماتنا تعانق السحاب.. غنت لنا المطر أنشودةً معزولةً : لا تلعنوا القدر بل امسحوا الضباب
في ساعة السحر. حكى لنا القمر من بيته البعيد؛ عن عاشق موَّلّه أضاع نزف حبره على جياد القافية قصائداً مذهبة قد علّقتها الغيد.. في طلعة للشمس نامت عروس البدر.. تسامق النهار.. تكسرت أحلامُه على ضفاف النهر تبللت جفونُه ذابت خيوط الفجر.. على كفيه قد غفا .. ميزان هذا الشعر.))

إن الشاعر حينما يفكر في تثبيت حقائق ورغبات وميول ونزوع نفسي وعقلي لاستشراف وقراءة أفكار غيره ممن يسامرونه أو يجايلوه في محبته لشيء ما. هذا الشاعر يكون عاشقاً للموسيقا. ويغرد بغناه الشعري ليطلب المزيد فيكون حسه مغمورا تحت ذلك الطلب، ومخفياً بين سطور نصه الذي يداهم تلك النغمات الموسيقية، لم تكن كلمة «هاتها» إلاّ طلباً صريحاً متجرداً وظاهراً، لكنه يخبيء حساً نابضاً بكل دقة عود على وتر، الصور التي انتجها النص من هسهسة / زجاج / شفيف /شعاع / انعكاس/ دلالات على شفافية الصدق في الإحساس المتنامي مع فعل الطلب، فبدت لنا صورة الكأس بلونها تعكس جمالاً أخاذاً للحظة الشهوة واللذة ، ويزداد الطلب للذة الكأس في موعدها فتحيل اللغة النص إلى تصوير الشوق وإسقاطه على من يلبي الطلب (طائر الشوق المبجل) في هذه الصورة ينتهي الحس العميق بوحدة الجلسة والكأس وتوحد هذا الحس يشي لنا بإحساس واحد في كأسين يرتهن بالحب والنشوة . وهل الرهان على مولد نص محفوف بالحزن والأسى في تداعياته هو غاية النسج والحبكة البلاغية، نحن نستشرف ذلك في :

((هاتها .. أتابع هسهسة انسكاباتها.. هاتها .. خلف الزجاج الشفيف.. بلون البنفسج.. شعاعُ يشف انعكاساتها
هاتها .. في أوانٍ بميعادها.. يا رفيقي .. يا طائر الشوق المبجل، أنت تدري أن كأسي بكأسك، متوجة بارتهاناتها
هاتها.. كما عاهدتك بشاراتها.. مخلوطة بمقام العجم.. منسوجة تحت نغم الصبا.. تعانق طعم الأسى في انحداراتها.. هاتها.. قصيدة تحت ضوء يديك.. صحوها وانبعاثاتها.. هي الآن صورة لي.. ولك منها ما يداعب التماعاتها.. وينفخ في أديم السديم.. سياقاتها وانثناءاتها.. هاتها.. سأودعُ سراً لها.. وسراً عليها.. وسراً يودعها بالحنين.. عند باب ارتحالاتها.. هاتها .. فبعد قليل سأسرج مطايا الحكايات بغاياتها.. هاتها.. هي الفجر قبل الأوان.. شجون الكؤوس ومهجتها.. وانعزالاتها.. كحزن القصيدة.))

المنهجية النقدية عند الدكتور نبيل طنوس ..

فراس حج محمد.فلسطين

للدكتور «نبيل طنوس» جهود بحثية، استهدف بها دراسة أعلام من الشعر الفلسطيني، عدا ترجماته المتعددة، وكتابته الشعر. وهذه الكتب الثلاثة هي: «اقتفاء أثر الفراشة»، و«راشد حسين ويسكنه المكان»، و«سميح القاسم شاعر الغضب النبوئي»، عدا كتابه المعد للطباعة «اختراق النص- دراسات في الأدب المحلي» وبذلك فهي تشكل مشروعاً بحثياً متكاملاً للدكتور طنوس.

أما الكتب الثلاثة المطبوعة الوارد ذكرها أعلاه فتجمعها ملامح واحدة في طريقة البحث والدراسة، وفي طريقة بناء الكتاب، ومادة كل واحد منها، والهدف من كل كتاب، وتتكون مادة الكتب الثلاثة من ثماني مقالات في الكتاب الأول، وثلاث في الثاني، وأربع في الثالث، وجاءت متقاربة في عدد الصفحات: (196، 184، 198) على التوالي.

يتضح لدى الدارس أن هذا المشروع على هيأته هذه، تبلورت لدى الدكتور «طنوس» بعد كتابه الأول «اقتفاء أثر الفراشة» الصادر عام 2019، ثم تبعه كتابه عن «راشد حسين» عام 2021، وأخيرا كتاب «سميح القاسم» عام 2022. كتابا «راشد»، و«سميح» يتقاطعان في المنهجية، ويتقاربان في المصطلحات، وصدرا عن دار نشر واحدة، والهيأة العامة لكليهما كمنتج ورقي، وصياغة العنوان، وتصميم الغلاف الذي كان في الكتابين من إبداع الفنان

الشاب المرحوم «محمد جولاني»، وترتيب المادة البحثية، وإيراد قصائد مختارة لكلا الشاعرين.

أما في كتاب «اقتفاء أثر الفراشة» الذي سبق لي أن أعدت تحريره منذ ما يزيد عن سنتين أملاً في إصداره على هيأة جديدة في طبعة ثانية. فكان الاختلاف شكلياً أولا في الكتاب؛ الهيأة العامة كمخرج ورقي، وصدوره عن دار نشر أخرى، ما جعل الدكتور «نبيل» يفكر بإعادة طباعة الكتاب على هيأة هذين الكتابين، وأن تكون صورة «درويش» على الغلاف أيضاً من إبداع الفنان نفسه؛ «محمد جولاني»، لما تحمله فكرة التشابه الخارجي من إيحاء تؤشر نحو مضمون مشترك، إنني أشبهها بأعضاء الفريق الرياضي الواحد أو طلاب المدارس الذين يلتزمون بلباس موحد. إن هذا الشكل- وإن كان خارجياً- إلا أنه ذو دلالة على هوية الانتماء، والاشتراك في تحقيق أهداف معينة أو وظائف محددة، فالشكل يحمل جزءاً من المضمون في هذه الحالة، وفي حالات مشابهة متعددة.

كما لم يحفل الباحث «طنوس» في هذا الكتاب بإيراد قصائد مختارة للشاعر «محمود درويش»، واكتفى بتضمينه قصيدة لم تنشر في دواوينه أو في الأعمال الكاملة. على الرغم من هذه الناحية الشكلية، إلا أن الكتاب لم يبتعد عن فكرة الباحث الأساسية التي اتسعت وتبلورت في الكتابين اللاحقين، ليتشكل منها جميعها هذا المشروع النقدي؛ إنها حول ثلاثة شعراء فلسطينيين من الرعيل الأول لشعر المقاومة، تحدثوا عن القضايا ذاتها وبأساليب متقاربة أحياناً، ولهم ذات الهموم، وذات الحساسية الشعرية والأفكار السياسية، وعاشوا الظروف ذاتها في فترة ما من حياتهم، عدا ما تجمعهم من علاقة صداقة، ظلت ممتدة على طول حياة هؤلاء الشعراء، وهم أعلام حاضرون في أغلب الدراسات النقدية- إن لم يكن كلها- التي تتناول الشعر الفلسطيني المقاوم، ويشكل كل واحد منهم صوتاً شعرياً مميزاً مختلفاً عن غيره، كثيراً أو قليلاً.

يظهر كذلك بعض الاختلاف في استراتيجية العنوان في الكتب الثلاثة، في حين أن الكتابين الثاني والثالث استندا على اسم الشاعر «راشد حسين» و«سميح القاسم»، واعتمد «طنوس» بالمقابل على أحد نصوص درويش «أثر الفراشة» في عنونة الكتاب الأول؛ معبراً عن العملية النقدية بأنها اقتفاء؛ أي تتبع، فلم يكن اسم الشاعر متصدراً عنوان الكتاب الأول، بل جاء آخر كلمة في العنوان، العنوان الفرعي «دراسات في شعر محمود درويش»، بينما اتفق الكتابان الآخران في العنوان الفرعي «دراسات وقصائد مختارة». أما عنونة الكتاب الثاني، العنونة الرئيسية فاستندت إلى البحث الأول في الكتاب حيث درس «طنوس» المكان في شعر «راشد حسين»، وعند قراءة الكتاب بأبحاثه الثلاثة سيكتشف أن «المكان يسكن راشد حسين»، بل ويسيطر على الباحث أيضاً، فالألوان والمرأة مجالا البحثين الآخرين في الكتاب كان المكان حاضراً بمستوى معين أيضاً.

في هذين العنوانين اتصال بجهد الباحث الخاص، بينما في عنوان الكتاب الثالث ربما تأثر الناقد بما وُصف به سميح القاسم من النقاد الآخرين، وأعني بالضبط ما وصف به الدكتور «إميل توما» سميح القاسم بأنه «الشاعر النبوئي»، وبما وصف به الناقد «رجاء النقاش»، سميح القاسم بأنه «شاعر الغضب الثوري»، فيستبدل «طنوس الثوري» ويضع بدلا منها «النبوئي»، وهكذا يصبح عنوان الكتاب «سميح القاسم شاعر الغضب النبوئي»، وبناء على ما يثبته الناقد «طنوس» من مقولات في حق سميح القاسم عند النقاد والكتاب الآخرين يصبح العنوان مقولةَ وصفٍ احتفاليةً للباحث الدكتور «نبيل طنوس» بالشاعر سميح القاسم، جاءت بعد رحيله بسبع سنوات، كما كان الكتابان الآخران أيضاً بعد رحيل الشاعرين بسنوات كذلك.

في كتابة طنوس هذه- في هذا المشروع- يعيد الأسلوب ذاته، ويلتحم بالنص ويعمد إلى تفسيره بناء على ما لديه

من معرفة خاصة، ممتدة حول حقول أخرى غير نقدية وغير أدبية، لتصل أحياناً إلى تخوم «النقد الثقافي»، ويستعير المصطلحات النقدية من النقد الاجتماعي، ومن البنيوية، والأسلوبية والسيميائية، كما يستند بقوة على التراث النقدي البلاغي العربي القديم خاصة في تفسير بعض نصوص الشاعر سميح القاسم، فيدرس المجاز والطباق والجناس والاستعارة بالكيفية التي ترد فيها في كتب التراث القديمة، فيعيد المقولات التراثية ذاتها في هذا الجانب، كما فعل أيضاً بدراسته للتكرار الذي جاء بسيطاً في الشرح والتوضيح، مكتفياً بوظيفة واحدة له، كثيراً ما ترد في كتب النقد القديم، وأعني بذلك «التوكيد»، علما أن التكرار شكّل ملمحاً أسلوبياً بارزاً في قصائد شعراء الشعر الحر أو شعر التفعيلة، وكان ذا دلالات متنوعة أضاءت عليها بإسهاب وتنظير نقدي مشفوع بأمثلة الشاعرة العراقية نازك الملائكة في كتابها المهم «قضايا الشعر المعاصر».

هذه الكتب، كتب طنوس الثلاثة، رسخت أسلوباً بحثياً خاصاً لديه في قراءة الشعر الفلسطيني المقاوم، بناءً على محمولات ثقافية مغايرة، يجد الدارس شيئاً منها في الكتب الثلاثة، فاكتسبت تلك النصوص أهمية إبداعية واضحة، تفصح عن أنها ذات قدرة على الإشعاع في وقت آخر غير وقت إنشاء النص، بمعنى أن تلك النصوص ما زالت قادرة على أن تفعل فعلها في الباحث، وتستفزه وتحثّه ليفكك النص ويحلله ويعيد بناء مقولاته من جديد، وكشفت طريقة طنوس التحليلية هذه أن تلك النصوص قادرة على استيعاب التأويل الثقافي بناءً على ثقافة الناقد، ما يعني أن مجال الاختلاف وارد بينه وبين غيره من الناقد الذين يتقاطعون معه في هذه الطريقة، فالثقافة الشخصية للناقد في هذه الكتب كان لها أثر واضح وإيجابي في تفسير النصوص أكثر من منهجية الدراسة ذاتها، بل إنها صنعت من نفسها منهجية خاصة للناقد سار عليها في تحليل النصوص هذه الكتب.

مع هذه الطريقة البحثية التي حضر فيها النص مع التحليل والامتدادات المعرفية للناقد وانطباقها على النصوص، والكشف عن جمالياتها، اجتمع معها نبرة تقدير عالية للشاعر والنص، جعلت الدكتور نبيل طنوس ناقداً جمالياً مستنداً على أرضية من البحث الأكاديمي وخاصة الأسلوبية الإحصائية كما في كتاب «راشد حسين ويسكنه المكان»، وإلى حد ما في الكتابين الآخرين، لكنه لم يكن ملزماً نفسه بمنهجية صارمة تذهب عنه انفعاله بالكتابة عن هؤلاء الشعراء الثلاثة، فجاء هذا المشروع النقدي حيوياً، منضبطاً نقدياً بالمصطلحات المستخدمة، فكان ناقداً حراً، ولم يستعبده الشكل الأكاديمي للبحوث، وعليه فقد كانت لغته النقدية لغة سلسة واضحة لا تعتمد على الجملة المعقدة التي قد يقرأها المرء عند نقاد البنيوية والأسلوبية والتفكيكية من النقاد المنهجيين ذوي اللغة

المركبة المصطلحية المغلقة على أبناء المنهج النقدي أو النقاد الأكاديميين، أمثال «كمال أبو ديب»، و«محمد مفتاح»، أو «رولان بارت»، و«جيرار جنيت» على سبيل المثال.

وبناء على هذا التحرر القصدي من الالتزام بالمنهج الصارم لا يصح تقييم هذه المقالات/ الدراسات بمنطق التقييم البحثي الصارم الذي يبحث في الشكليات العامة المؤطرة للبحث، وضرورة الاستقصاء أحياناً، أو العودة إلى مراجع ومصادر أكثر أهمية مما اعتمد عليه الناقد.

لهذه المنهجية النقدية كثير من الإيجابيات، وربما أميل شخصياً إليها في كتاباتي النقدية، وأوليتها اهتماماً في كتاب جديد وضحت معالمها بالتفصيل تحت عنوان «نظرات في الكتابة النقدية». هذه المنهجية- كما تظهر عند الدكتور طنوس- ذات بعد تعليمي، إذ تحرص اللغة الواضحة للنص النقدي على أن تعلم القراء أو الباحثين المبتدئين وطلاب الجامعات على كيفية التعامل مع النص، وكيفية الكشف عن مضامينها وارتباطها بالأحداث العامة السياسية والاجتماعية والثقافية، وتوضيح مكامن جماليات النصوص، وكيف وممَّ تصنع تلك الجماليات. إنها بصورة أو بأخرى تكشف عن شخصية الناقد المشتغل بالتدريس الجامعي فترة طويلة، فقد انعكست تلك التجربة في التدريس على منهجيته في التأليف وتوظيف اللغة؛ لتكون عملية قادرة على إيصال رسالتها دون تعقيد، ودون بساطة مخلة كذلك بشروط الكتابة الجيدة، إنه يكتب المقال النقدي بروح علمية منضبطة، لكن دون الإغراق في هذه الناحية التي ربما أفقدت المقال متعته لدى القارئ العادي أو المتذوق للشعر، فيعيد بذلك إلى دائرة القراءة والنقاش مفهوم «النقد التطبيقي» بطريقة عملية وعلمية في آن.

كما أن هذا النوع من الكتابة النقدية السلسة التي تزاوج بين النص والقراءة النقدية تتيح للقارئ اختبار قدرته الشخصية- هو ذاته كقارئ- على مناقشة الناقد، فلربما

دفعه ذلك ليخالفه الرأي والنتائج وطريقة الدرس، والنظر إلى النص، وكأن الناقد يوفّر للقارئ- بوصفه الناقد المحتمل القادم- فرصة ليعارضه، معززاً من ديمقراطيته النقدية، تلك الديمقراطية التي يتمتع بها الدكتور «نبيل طنوس»، ويجب أن تتوفر لدى كل كاتب، لا أن يضيق أحدنا ذرعاً بمن ينتقده ويخالفه الرأي، إن النقد له هذا الفعل وهذه النتيجة في عقول النقاد، أما المتطفلون على النقد فليس لهم من هذه الميزة العقلية أي نصيب، وإن انجرّ إليها كثيرون منذ العقاد وطه حسين ومصطفى صادق الرافعي بما عرف عنهم من «معارك أدبية» كانت حامية الوطيس، وكانت قاسية في أحكامها وهجوميتها، لكنها خلّفت ميراثاً نقديا محترماً، ما زال زادا معرفيا للباحثين، وينهل منه الدارسون ويتعلمون منه الحجاج والاختلاف والمنطق، وأسست لبناء قاعدة مشتركة من احترام الآراء مهما كانت غير منصفة من وجهة نظر الكاتب المعنيّ.

إضافة إلى هذا أيضاً فإن توفر النص المدروس بين يدي القارئ وعدم ذهابه للبحث عنه ليقرأه من مصدر آخر، وربما لم يجده إلا بصعوبة، إن في هذا الفعل ما قد يمنع عن القارئ إفساد مزاجيته المندمجة بالنص النقدي، هذا حرص على القارئ انتبه له الدكتور «نبيل طنوس» وأشار إليه عندما تحاورنا في هذا عندما صدر الكتاب.

أما عملية اختيار النصوص ذاتها فتنطوي على بعد نقدي في الأساس، حتى اختيار نص ما ليقرأه نقدياً ناقد ما لا يخلو من توجه نقدي جمالي تأثريّ انطباعيّ، لكنه انطباع مؤسس على ذائقة خبيرة بالنصوص وطبيعتها، وقد توفّرت للناقد نبيل طنوس هذه الذائقة، لاسيما أنه شاعر ومترجم شعر، ويهتم تبعا لذلك بالنصوص ذات السوية العالية من وجهة نظره كناقد خبير، فهو على ذلك يقدم في هذه الاختيارات ما يعتقد أنه الأجمل إبداعيا لدى الشاعر، وليس الأجمل فقط، بل أيضا ما يمثل الشاعر ومحطاته في الكتابة وتطوراته عبر رحلته في الكتابة. إن الناقد في هذه العملية يضيء الطريق أمام الباحث والمتذوق ليتعرفا على الشاعر وأشعاره، ومن أراد الاستزادة فعليه بالمراجع الأصلية من دواوين الشاعر وكتبه، وكتب الباحثين.

لقد أولى الدكتور «نبيل طنوس» في هذا المشروع اهتماماً لحضور الشاعر المتصل عبر زمن الكتابة والوجود الفعلي إلى الزمن الحاضر والمستقبل، ولذلك تجده يهتم بإيراد جوانب متعددة من هذا الحضور، ويركز الدكتور «طنوس» على حضور هذين الشاعرين (راشد وسميح) في دراسات الآخرين عبر مسرد خاص بالدراسات التي تناولت أشعارهما أو أعمالهما الأدبية وسيرتهما الذاتية. وأضاف الباحث في كتاب «راشد حسين» مراجع تخص قصائده المغناة، هذه المراجع التي اختفت في الكتابين الآخرين؛ اقتفاء أثر الفراشة، و«سميح القاسم» شاعر الغضب النبوئي. ربما لأنه أراد أن ينصف «راشد حسين»، فمن يعرف بقصائده المغناة من جمهور القراء قليل، وفي هذا ما يحسب للناقد لكي تكتمل الصورة، هذه الصورة التي يجدها المتلقي كاملة لدى درويش والقاسم وليست بحاجة إلى إضاءات حسب تقدير الباحث نفسه، وبهذه العملية أيضا يظهر أثر «طنوس» التعليمي في تقديره الحاجة المعرفية اللازمة للقارئ.

إن العملية النقدية في هذا المشروع عملية احتفالية، وليست عملية «اغتيال» كما يقول «درويش» في نصه الذي يستهل فيه طنوس كتاب «اقتفاء أثر الفراشة»، فطنوس منذ بداية المشروع وهو يفكّر كيف يكتب عن الشعراء الثلاثة بطريقة بعيدة عن فكرة الاغتيال الدرويشية، وخالية من أية نوازع سلبية، بل العكس من ذلك تماماً.

هذا يعني أن الناقد يحدد مهمته النقدية التي تؤشر إلى الإعجاب بالمنجز الإبداعي بهؤلاء الشعراء، وغيرهم من المستهدفين وللنصوص المختارة من أدبهم؛ شعرا ونثراً، في كل كتابة نقدية عند طنوس، وعند غيره من النقاد، وهذه رسالة إلى القراء والنقاد والباحثين أن من يُكتب فيه نقد فإنه جدير بأن يقرأ ويستمتع بأدبه غالباً، إذا ما كان منتهجاً هذه الطريقة– أو قريبا منها– التي سار عليها «طنوس» في هذه الكتب، بل إن للنقد مهمة إشهارية عندئذٍ، تتمحور حول تقديم شهادة صريحة أحياناً وتلميحية أحياناً أخرى بهذه الجدارة، وفي حالة «طنوس» مع هؤلاء الشعراء الثلاثة، فإنه يحمل تجاههم تقديراً عالياً جداً، بحيث يتسرب في الحديث عن القصائد موضع الدراسة بعض العبارات ذات البعد الانطباعي التأثري التي تدل على مدى تقدير الناقد لهؤلاء المبدعين، لكن هذه العبارات لم تكن لتخرج المشروع عن موضوعيته ومنهجيته النقدية التي بينت شيئاً من ملامحها في ما سبق، ولا أن تُنقص من أهمية هذا العمل النقدي النبيل، نبل الناقد ذاته اسماً وأخلاقاً وعملاً نقدياً.

في التطبيق اللّساني على اللّغة العربية ..

منوال الليبي محمّد محمّد يونس علي (3) ..

منجي الأشعاب. باحث في اللسانيات التطبيقية. تونس

1 - **مفهوم النصّ / الخطاب**:

هناك التباسٌ عميق بين الخطاب والكلام من جهة، والخطاب والنصّ من جهة ثانية. وقد ذهب العديد من اللّغويين العرب القدامى إلى أنّ الكلام « ما تضمّن الإسناد الأصلي وكان مقصودا لذاته فكلّ كلام جملة ولا ينعكس» (الأستراباذي، 1995 ج 1 ص 8) ويدعم ابن يعيش هذا القول إذ يرى أنّ الكلام أعمّ من الجملة وهو يُطابق الجملة الواحدة كما يُطابق المجموعة من الجمل أي أنّ « الكلام عبارة عن الجمل المفيدة» (ابن يعيش، 1990، ج1 ص 21). وبهذا المعنى وهو اعتبار الكلام مجموعة من الجمل يجعله مُرادفا للنصّ بالمفهوم الحديث. وقد أورد محمّد محمّد يونس عليّ تعريفا للخطاب أخذه عن التهانوي مفاده أنّ الخطاب هو « الكلام الموجّه للغير للإفهام» (يونس عليّ 2016، ص 16 / التهانوي، الكشّاف 1996 ج1 ص 749). وما أضافه التهانوي أنّ القصد من الكلام هو الإفهام ويشرح محمّد محمّد يونس عليّ ذلك، مُحدّدا شروطا ثلاثة وهي (نفسه ص ص 16، 17):

– اعتماد الخطاب على الملفوظ دون المكتوب ودون الإشارات والرموز.

– اشتراط وجود باث ومتقبّل ورسالة ذات مقصد واضح وجليّ

– التواضع (لغة وسياقا ووضعا)

وبعودته إلى المقولات اللّسانية تبيّن محمّد محمّد يونس عليّ التباسا كبيرا بين النصّ والخطاب لدى اللّسانيين التباسا استحال معه التفريق بين المفهومين (نفسه ص 18) ولهذا قدّم تعريفا دقيقا تجاوز فيه مقولات اللسانيين عادّا الخطاب» كلّ بنية متماسكة مركّبة من مضمون إبلاغي أو معرفي أو عقدي أو عاطفي، وشكل ملفوظ أو مكتوب تصدر عن مُتكلّم عاقل وترتبط عن غرض مّا» (نفسه ص 18).

هذا التعريف الشمولي سعى فيه إلى الإحاطة بالمفهوم من جميع جوانبه، وعلى شمولية هذا التعريف تبيّن للغوي يونس عليّ تشعّب مفهوم الخطاب نتيجة الغموض الّذي يعتريه وكي يرفع كلّ لبس وغموض قدّم معايير وشروطا دقيقة يستقيم بمقتضاها الخطاب مفهوما دقيقا وواضحا

وهذه المعايير هي التماسك، الاتّساق، القصدية، المقبولية، الإفادة، المقامية، التناص»(نفسه ص 19). وقد تفطّن إلى أنّ تحليل الخطاب لا يخضع إلى آليات تحليل الجملة أو القول لكون النصّ يخضع إلى مرجعيات مختلفة (نفسه ص 22). وقد جمع زهاء عشرة أنواع من المرجعيات.

المرجعيّة الأولى سمّاها المرجعية التخاطبية انطلق في تحليلها من ثلاث ثنائيات وهي « اللّغة والكلام» الّتي أوردها دي سوسير و « الكفاية والأداء» لدى نوام شومسكي و « الوضع والاستعمال» كما وردت في التراث النحوي والبلاغي العربيين. ودون البحث في طبيعة كلّ مفهوم على حدة فإنّ محمّد محمّد يونس عليّ انتهى إلى أنّ الجامع بين هذه الثنائيات هو « التمييز بين مستويين مختلفين من الوجود اللّغوي: مُستوى وضعي اجتماعي كامن في أذهان المجتمع اللّغوي عامّة، ومستوى استعمالي فردي مُتحقّق في المقام التخاطبي» (نفسه ص 34). معنى ذلك – وفق تصوّر هذا الباحث– أنّه ترسّخ لدى معظم اللّغويين المهتمين بعلم التخاطب أنّ الكفاية اللّغوية بمفردها لم تعد كافية لتحقيق التفاهم ومن ثمّة وقع اللّجوء إلى الكفاية التخاطبية الّتي تساعد على « التمييز بين أنواع الخطاب ومعرفة بمسالكه وأغراضه وإدراك للمرجعيات المختلفة الّتي يُحيل عليها النصّ والربط بين عناصر النصّ وما يلائمها من مرجعيات» (نفسه ص 39).

أمّا المرجعيّة الواقعية فاعتمد في تحليلها تمثيلا دقيقا مفاده أنّ» الكلمات ليست كالماء الّذي يخضع لونه للون إنائه، وإنّما كالحرباء الّتي تتلوّن بلون المكان الّذي تحلّ فيه أي أنّ الكلمة أشبه بالحرباء تمتلك إمكانات مُعيّنة، كلّ منها يبرز في موضعه المناسب، وليست كالماء الّذي لا يملك شيئا من تلك الإمكانات، وإنّما يخضع لما يفرض عليه من الخارج (يونس عليّ 206 ص 40 / 1993 ص 105). والمقصود بذلك أنّ للخطاب سياقا يضبطه ووفق هذا السياق تتحدّد دلالة الألفاظ والكلمات. ومن هنا يمكن الإقرار بأنّ محمّد محمّد يونس عليّ قدّم إضافات حقيقية استقى بعضها من اللّسانيات والفلسفة

المعاصرة، ومن هذه الإضافات اعتباره الحقيقة موزّعة بين الواقع واللّغة فكما أنّ للكلمات مرجعيات واقعية فإنّ لها أيضا إحالات ذهنية وهو ما أدّى به إلى تجاوز مقولات البلاغيين العرب من مطابقة القول للواقع من عدمه – أي اعتماد ثنائية الصدق والكذب في تحليل الخطاب– إلى البحث في مرجعيات أخرى (أنظر الجدول 2006 ص ص 44، 45) فانتهى به الأمر إلى تمييز نوعين من السياق هما « السياق الداخلي وهو كلّ العناصر اللّغوية السّابقة واللّاحقة للعنصر موضوع الحمل، أمّا السياق الخارجي فهو كلّ العناصر غير اللّغوية الّذي ينصّبها المتكلّم أو يُراعيها المخاطب عند تعامله مع الخطاب» (نفسه ص 45).

ومن الإضافات الأخرى عمق تحليله لمرجعية المحيط ليثير مسألة مهمّة ظلّت عالقة وهي مرجعية الصّدق «أهو الواقع أم اعتقاد المتكلّم» (نفسه ص 47) لأنّ العديد من المعاني ليس لها نسبة خارجية من قبيل « المجرّدات والافتراضات والمستقبل والإنشاء» (نفسه). وأردف هذه المرجعية «بمرجعية الجمال ومرجعية المخيال»، مؤكّدا أنّ مقاييس الجمال مختلفة وعلى هذا الاختلاف فإنّ النصّ محكوم بثنائية الائتلاف والاستبدال إذ « يرتبط الاستبدال بالتصوّر والائتلاف بالتصديق، والاستبدال محكوم بالمعجم والائتلاف بالقواعد والأسلوب» (نفسه ص 5).

ولئن كانت المرجعيات السّابقة مهمّة لفهم النصّ وإدراك غاياته والبحث في مدى جماله فإنّ المرجعية النفسية مهمّة لفهم» البنية النفسية الشعورية واللّاشعورية للمؤلّف» (نفسه ص 51) وهو ما يُفسّر أنّ النصّ محكوم بإيديولوجية صاحبه لذلك ألحق صاحب النظرية المطروحة بيننا المرجعية الاجتماعية الايديولوجية بالمرجعية النفسية لأنّ الخطاب لا يُفهم « دون الرجوع إلى شبكة العلاقات الاجتماعية الّتي تحكم أفراد المجتمع اللّغوي بما في ذلك الهوية والسلطة والنظام السياسي والإيديولوجيات السائدة والصراع الفكري والسياسي» (نفسه ص 52). وإذا كان النصّ محكوما بإيديولوجية صاحبه،

وفق تصوّر محمّد محمّد يونس عليّ، فقد يكون أيضا محكوما بسلطته والأمثلة، الّتي قدّمها دليلا على ما ذهب إليه، كثيرة مثل سلطة القاضي الّتي يستمدّها من المحكمة وسلطة الرئيس الّتي يستمدّها من الشرعية (نفسه ص ص 61/ 62). بيد أنّ هذه المرجعيات (مرجعية الإيديولوجيا و مرجعية السلطة) تسقط حينما نبحث في جودة النصّ لتكون للمرجعية المنطقية الأساس الأوّل وذلك « لضمان الاتّساق المنطقي وسلامة المقدّمات والنتائج الّتي يحتويها، وصلاحية الدليل والاستدلال للبرهنة، ولا يتمّ الاستنباط المنطقي عادة إلاّ بتفكيك البنية المنطقية للخطاب لمعرفة الكيفية الّتي نظم بها المخاطب حججه، وإنّما يكون ذلك بالنظر في طرائقه الاستقراء والقياس والتعليل والافتراض والتضمين» (نفسه ص 55).

ولّما تبيّن لمحمّد محمّد يونس عليّ أنّ للمخاطِب والمخاطَب دورا مهمّا في عملية الخطاب فقد لجأ، لتعميق التحليل، إلى نظرية المسالك والغايات، لأنّ وصول المتكلّم إلى غايته لا يمرّ إلاّ عبر مسالك معيّنة، لذلك فصل الباحث بين المسالك المتعلّقة بالمخاطِب والمسالك المتعلّقة بالمخاطَب. ولئن أجّل الاهتمام بمسالك المتقبّل (سمّاها مسالك الحمل) فقد فصّل القول في الأولى وهي مسالك الخطاب (نفسه ص ص 100، 102).

المسلك الأوّل الّذي يعتمده المتكلّم هو « المسلك البياني» وفيه يُصنّف الكلام إلى ثلاثة أصناف. صنف يعتمد فيه المتكلّم التصريح والوضوح، موظّفا الخطاب المباشر وصنف ثان يعتمد فيه التلميح والغموض ويوظّف فيه المجاز والمشترك اللّفظي والإضمار وغير ذلك ممّا يؤدّي إلى غموض الخطاب، وصنف ثالث سمّاه « مسلك الإبهام» ويعتمد فيه المتكلّم الإبهام والإلغاز (نفسه ص ص 102، 104). أمّا الثاني وهو « المسلك الموقفي « وفيه يعتمد مدى مناسبة خطاب المتكلّم للمقام التخاطبي (نفسه ص 104).

المسلك الثالث الذي وضّحه هو « المسلك البنائي» وهو نوعان «مسلك نظمي» يهتمّ بالجملة نحوا وصرفا ودلالة، وقد وظّف في هذا المجال نظرية أوستين ثمّ توسّع في ذلك ليستدعي نظرية تلميذه سيرل الّذي قسّم الخطاب استنادا إلى تحليل أستاذه إلى «العمل القولي» و «العمل المتضمّن في القول» و «عمل التأثير بالقول». وعلى الرغم من أنّ سورل قد ركّز عنايته على « العمل المتضمّن في القول فإنّ محمّد محمّد يونس عليّ اعتبر أنّ « عمل التأثير بالقول» ذو أهميّة باعتباره يكشف على مدى تأثير الخطاب في المتقبّل وطبيعة ذلك التأثير(نفسه ص ص 116، 117).

النوع الثاني سمّاه « المسلك التأليفي» وهو مسلك يهتمّ بالنصّ ويُميّز فيه بين التنظيم من جهة والمقصود به طرق بناء النصّ، ومن جهة أخرى بين الاتّساق والتماسك. وإن قُصد التنظيم أو التماسك فإنّه يُعتمد فيه البحث في المقدّمات والنتائج والمسالك المعتمدة في البرهنة والاستدلال في مستوى النصّ الحجاجي كذلك طرق بناء السرد والوصف في مستوى النصّ السردي. وقد قدّم الباحث تفاصيل دقيقة في جميع هذه المستويات لا يتّسع البحث فيها في هذا المجال.

وأمّا المسلك الأخير وهو « مسلك السّوق» يعدّ في نظري من أهمّ المسالك الّتي تناولها محمّد محمّد يونس عليّ بالتحليل لكونه يهتمّ بالقرينة الموجّهة للخطاب لأنّ للخطاب معانيَ متعدّدة لا تُفهم إلاّ من خلال القرائن المعتمدة، إذ يحدث الالتباس في الكثير من النصّوص لولا توفّر قرينة تُحدّد المعنى وتضبطه.

أولى القرائن المذكورة هي قرينة «التضمّن» ينطلق في تحليلها من هذا المثال وهو «العصفور في القفص». هذه الجملة تُثبت أنّ العصفور هو من فصيلة الطيور وُضع في القفص غير أنّنا لو أدركنا أنّ «العصفور» ليس من فصيلة الطيور فإنّ ذلك يؤدّي إلى فهم مغاير وبذلك يختلف أيضا معنى لفظة «القفص» عن معناها المعجمي. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ دراسة المعنى المعجمي في علاقته بمفهوم الطراز (Prototype) ظهرت عند كلّ من جورج كليبر (Kleiber) و لايكوف (Lakoff) بيد أنّ محمد محمّد يونس عليّ نظر إليها من منظور شامل.

وثاني القرائن هو ما يُسمّيه « الافتراض» وهو ما يُسمّيه سورل (Searle) بالاقتضاء (سورل 1972 ص 83) وهو يندرج ضمن « القوّة المتضمّنة في القول. فالجملة الّتي أوردها الأستاذ الباحث وهي « طلّق سعيد سميرة» تقتضي وفق نظرية سورل أن يكون سعيد متزوّجا. ويتعمّق ديكرو (Ducrot) أكثر في التحليل ليدرج ما يُسمّى ب «المضمر» (ديكرو 1980 ص 7). فجملة « زوجة جارنا تزعجنا ببوق سيّارتها» بالإضافة إلى الاقتضاء الّذي يفرض أن تكون لنا جارة وتلك الجارة تملك سيارة وأنّ صوت بوقها قويّ يزعجنا فإنّ المضمر يجعلنا نتجاوز الظاهر إلى الخفيّ من ذلك القول بأنّ الحكومة سمحت للنساء بقيادة السيارات إذا كان في بلد لا يسمح فيه للنساء بالقيادة، وقد يجعلنا المضمر نفهم أنّ زوجة جارنا تتباهى بسيارتها الجديدة أو أنّ زوجة جارنا ليست على خلق عظيم باعتبارها لا تكفّ عن إزعاجنا وغير ذلك ممّا يُمكن أن نضمره.

وما نخلص إليه أنّ النّصّ يظلّ متشّعبا لا تحتويه نظرية واحدة. وهو ما تبيّنه الأستاذ الباحث محمّد محمّد يونس عليّ فأسقط كلّ النظريات السّابقة، ساعيا إلى إيجاد نظرية ملائمة في التحليل، وقد وفّق إلى حدّ بعيد في ذلك ومن ملامح ذلك أنّه سعى إلى التفريق بين مختلف النصوص لا سيّما السردية والحجاجية والتحليلية، مميّزا كذلك بين الخطاب والنصّ ثمّ قدّم مسالك ومرجعيات دقيقة لفهم مختلف النصوص.

خاتمة:

يعترض الباحث في اللّسانيات الحديثة ثلاث مدوّنات كبرى وهي المدوّنة النحوية التراثية والمدوّنة العربيّة الحديثة والمدوّنة اللّسانية الغربية. ويعمد الكثير من الباحثين إمّا إلى اجترار ما قدّمه النحاة العرب وإمّا إلى تعريب بعض النظريات الغربية دون النزول إلى التطبيق الفعلي على العربية – وهو ما لمسناه في الكثير من التجارب – بيد أنّ الباحث الفذّ هو ذاك الّذي يقطع المسافات بين مختلف تلك المدوّنات لتمثّل مرجعا ثريا في التحليل دون تمييز مدوّنة على أخرى ودون التحليق في عالم النظريات وهو نؤكّده في مختلف أعمال محمّد محمّد يونس عليّ بل إنّه تجاوز ذلك ليُخضع مختلف تلك المدوّنات إلى التحليل والنقد ليستنبط نظريات خاصّة به في مستوى الكلمة والجملة والنصّ.

المصادر

- يونس علي (محمّد محمّد): مدخل إلى اللّسانيات (2004): دار الكتاب الجديد، بيرت، لبنان.
- يونس علي (محمّد محمّد): المعنى وظلال المعنى: أنظمة الدلالة في العربية (2007): دار المدار الإسلامي، بيروت ، لبنان.
- يونس علي (محمّد محمّد): تحليل الخطاب وتجاوز المعنى: نحو بناء نظرية المسالك والغايات (2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن.

المراجع

- ابن جنّي (أبو الفتح عثمان، ت 392 هـ) الخصائص، تحقيق محمّد عليّ النجّار، دار الكتب المصرية. 1952.
- أوستين (جون) نظرية أفعال الكلام العامّة: كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر القنيني، افريقيا الشرق 1991
- ابن يعيش (موفّق الدّين يعيش بن يعيش ت 643هـ) شرح المفصّل، طبعة مكتبة التنبّي، مطبوعات مجمع اللّغة العربية بدمشق 1990).
- ابن فارس(أبو الحسين أحمد القزويني الرازي) الصاحبي في فقه اللّغة وسنن العرب في كلاهما، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة 1977.
- الأستراباذي (رضي الدّين محمّد بن حسن ت 684هـ) شرح الكافية، دار الكتب العلمية بيروت 1995.
- الجرجاني (عبد القاهرت 471هـ) دلائل الإعجاز ، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2004.
- سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان ت 177 أو 180 هـ) الكتاب، تحقيق محمّد عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ط 3 ، 1988.
- سوسير (فاردينان دي) دروس في الألسنية العامّة، تعريب صالح القرمادي ومحمّد الشاوش ومحمّد عجينة، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس 1985.
- الشريف الجرجاني (أبو الحسن عليّ): التعريفات، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1971).
- لايكوف جورج / مارك جونسن : الاستعارات الّتي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر ط 2 ، المغرب، 2009.
- نحلة (محمود أحمد نحلة)مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر 1988.
- Austin (J.C). Quand dire c'est faire. Editions du seuil. Paris. 1970.
- Chomsky (N). Les structures syntaxiques. seuil. Paris. 1969.

Chomsky (N). Aspects de la théorie syntaxique. seuil. Paris. 1971.
- Chomsky (N). On Wh-movement .In A. Akmajian. P culicover and T. Wasow (ds) ? Formal syntax .New york 1977.
- Chomsky (N). On binding . Linguistic Inquiry 16. 1980 .
- Chomsky (N). Governement and binding Theory . Dordercht : Foris Publications . 1981 .
- Chomsky (N). Some concepts and consequences of the Theory of Governement and binding . Combridge.Mass : mit Press.1982 .
- Chomsky (N). Knowledge of language .New York: Praeger. 1986 a .
- Chomsky (N). Barriers . Combridge . Mass : mit Press. 1986 b .
- Chomsky (N). Some notes on economy of derivations and Representation. 1988 .
- Dick (Simon). Functionnal grammar. North-Holland Linguistics. Series . 1978.
- Ducrot (oswald) . Dire et ne pas dire ; Paris . Hermann. 1972 .
- Ducrot (oswald) . La preuve et le dire . tours mame. 1974 .
- Ducrot (oswald). Le dire et le dit. Paris. minuit. 1984.
- Fauconnier (G). Espaces mentaux. Paris. Minuit. 1984.
- Firth (J.R). Personality and language in society Reprinted in Firth; london. 1957.
- Halliday (Michael) . " An introductin to functionnal Grammar " Edward Arnold . London . 1978 .
- Harris (Z.S). La structure distributionnelle. Revue Langage. n°20. U.S.A.1970.
- Harris (Z.S). Hermés ou recherches philosophiques sur la grammaire universelle. Droz. 1972.
- Jackendoff (R) . semantic interpretation in generative grammar . combridge ; MIT ; 1972 .
- Jackendoff (R) .Semanntic and cognition ; cambridge . MIT . 1983 .
- Moeschler (J) & Reboul (A) . Dictionnaire encyclopédique de pragmatique . Paris . Seuil . 1994 .
- Searle (J.R) On declarative Sentences . in Jacobs & Rosenbaum. Reading ordinaire : naissance de la pragmatique . in . Austin JL . Quand dire c'est faire . Paris . Seuil . 1981 .
- Searle (J.R) Speech acts . combridge . C . U . P . 1969 .
- Searle (J.R) Les Actes du langage . Paris ; Hermann . 1972 .
- Searle (J.R) Sens et expression . Paris . Minuit . 1982 .
- Searle (J.R) L'intentionalité (essai de philosophie des états mentaux). Paris. Minuit ; 1985.

3 قصص تستحق القراءة ..

محمد دربي. ليبيا. بلد الطيوب

• المكان

قبل أن يصل إلى سوق الظلام استوقفه أحد دراويش المدينة، درويش قلبه يجلب الحلم المألوف، توجه الدرويش اليه بسؤال: أأنت تذهبُ إلى مكانٍ لا تدري أين هو؟ ذُهل من السؤال، رمق الدرويش مندهشاً، ترددّ في حيرة ثم أجاب مُحملقاً في وجه درويش ممتلئاً بالشك: لا يُمكنني التكهن من ذلك حتى أصل اليه. انتصف النهار، السماء مكشوفة ووجه الشمس حارقٌ، مدينة في حرٍّ وفي ظُلمةٍ، وصل السوق، دار حول نفسه عدة مرات، تغلف الزمن بلحظة شرود، فقد صوابه فلم يجد المكان وتلاشى الزمن، واجه شكلاً آخراً للمكان، أيقن أنه فقد ذاك المكان مأوى الحائرين وايقن أنّ روح الدرويش أبت أن تعود وأنّ لا أحد في المدينة يعرف ذلك.

• زهرة ندية

اسمها كاسم زهرة ندّية، تُشرقُ وتستنير، وهي تمشي في ميدان البلدية والشحوب يلف وجه الأشجار وهي تصلي على ماتبقى لها من ورقٍ، لم تتمالك نفسها من الغضب الصامت، تفرّ من غيضها إلى غيضها، معالم مدينتها تتعرض للحصار والدمار، ركضت كمهرٍ أنوف نحو جنابن حي المغار، تبدو مطمئنة بين المجهول والأحلام، الريح تعصف بالشجر، تطاير فستانها المخملي إلى حافة خصرها، نزلت عليها غيمة سحرية فسترتها، الغيم المتراقص واصل السير معها حتى حوشها، غابت عن عين الغمائم بين الجنابن، لساعات طويلة ظلت الجنابن تتأمل رقص أوراق الخريف فوق برد الريح وتتأمل زهرة نديّة تحت ضوء الحلم.

• زمن الزمان

كعادته الرتيبة، يجلس أمام المقهى، يفترسه الزمن ويخذله ما بالمقهى من سأم، فزت في رأسه كلماتٌ يتحاشاها: ما الذي أرهقنيَ بلا جدوى سوى صورة ذاتي في وطني؟ أرجل كثيرة تمضي في خطوٍ عنيد، أيادي تحمل هواتف ذكية، أرجل تمضي لا يدري إلى أين، الناس في غفلة من وحشة الطريق، تعبت كراسي المقهى من مذاق الغبار ومن يأسٍ ينهش كل جليس، تداعت أغنية من جوف المقهى تثير انتباهه، لم يفهم منها إلا كلمة واحدة: " كلكم كذابة"، اعتقد أنّه يسمع صوت حوافر حصان صحراوي، أذهله الصوت الغريب، القى السمع والبصر فأبصر أمامه عفريتاً يضع فوق رأسه قبعة منقوش عليها: ما الداعي إلى الكذب؟

وجـــــوه ..

عبير خالد يحيى. سوريا

-" عقلك عقل سمكة"

بهذه الجملة كانت أمي تنهي موشّح التوبيخ الذي يعقب كلّ شجار بيني وبين أخي الذي يصغرني قرابة العامين، لا أدري لمَ كانت هذه العبارة الزائدة توجّهها لي وحدي، رغم أنها كانت عادلة في توزيع جمل وألفاظ التقريع بيننا، وبالتناوب، لكنّ هذه القفلة المسرحية كانت تخصّني وحدي، وكأنّها تنهي النتيجة لصالح أخي في كلّ مرّة، وفي كل مرّة أجيبه:

-" وما يدريك؟ قد تكون أمي لا تحبّ السمك، لكن مؤكّد أنّها لا تطيق الضفادع".

أرفع رأسي بعدها بشموخ و أنفة، أتسلّل إلى غرفة أمي وأقف أمام المرآة أتأمّل وجهي، أحاول أن أجد السمكة التي جعلتها أميّ تستقر في عقلي! أقيس جبهتي بالأصابع، وكذلك رأسي من الناصية حتى القفا لأحسب حجم السمكة التي تستقرّ فيه، و لو افترضت أنها تسكنه حقيقة، كيف تجلس؟ بالطول أم بالعرض؟! يباغتني ردّ أميّ وكأنّها تسمع ما يجول بخاطري:

- "ليست السمكة بكتلتها الكاملة من تحتلّ عقلك، وإنّما مخّها، عقلها الصغير الذي لا يزيد عن حجم حبّة الحمّص الصغيرة، هو ما يملأ رأسك!".

قصف آخر ينالني منها، لأضيف إلى قاموسي المعرفي معلومة جديدة!.

سقط رأسي في جزيرة صغيرة لا تتعدّى مساحتها الكيلو متر المربع الواحد، تقابل مدينتي الساحلية التي أقطن فيها حاليًّا، وتبعد عنها حوالي ثلاثة كيلومترات، لذا لم أجدني في غربة حينما نزلت من محيطي المائي الرحمي إلى محيطي المائي الصخري، كما لم أشعر بتلك الغربة حينما انتقلت إلى البرّ الشرقي المقابل لجزيرتي، متزوّجةً من قبطان جبتُ معه البحار والمحيطات قبل أن يرزقنا الله أولادًا يحتاجون إلى أرض صلبة كي يتمكّنوا من الوقوف عليها بلا تمايل والجري فوقها! و تحتّم عليّ رعايتهم والجري معهم فوق الإسفلت والبلاط والرمل، بينما بقي زوجي يمشي فوق الماء، يشقّ عباب المحيطات مقاسمًا حيتانها سطح عالمها دون العمق، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي تصارع فيه البحر والريح، بحرب ضروس كحروب التحرّر التي لا يدفع فيها الثمن إلّا مساكين الشعوب، وقعت السفينة في مهبّ الريح،

فاستنقذها البحر منها، وغاص بها عميقًا ! انتشلها من الريح الهوجاء ليلقي بها بكلّ مَن وما حملت طعامًا لشعبه بتنوّع زمره الأحيائية! أتخيّل دومًا كيف تبدو الطحالب البحرية متماهية بين الأصفر والأخضر كحقول القمح والبرسيم وهي تغلّف وجوه الغرقى! وكيف تعفّ عن عيونهم التي جحظت مخيفة كخيال المآتة، و هي التي احتلّها الرعب بعد أن نزع منها آخر بريق أمل... كيف تتحوّل الوجوه الآدمية لتحاكي وجوه سكان العالم الجديد، مع فارق بسيط، العيون الآدمية لا تتنازل عن جفونها، تدافع عنها بشراسة، فلا تغنم الأسماك أجفانًا ولا أهدابًا، ولا تنعم بالنوم القرير... أبقى أنا على قيد الأمل، أحلم بهذا القرير، أنتظر أن يحقّق الله يقين أمي فيَّ، ويمنحني ذاكرة سمكة!.

جنة النص

انتقاء :
سواسي الشريف

لا أقاومُ صوت المطر
كل قطرة تهبِط
تضرب وتراً ناعساً
كل نسمة باردة
توقظ نغمة منسية .
كل دوي رعد
أجفل إلى حضن أمي
كل ضباب أتسلل
صوب اللقاءات الدفيئة .
لا أقاوم صوت المطر
لا أَمَلُّ من تكرار حنيني
و لا أيأسُ من استنطاق
هذه اللغة المراوغة .
كل نار تتخلق
على شفير المساءات الباردة
كل دخان يتسامى
في الأفق الصحو
و كل برق يتشكل
عقارب أرجوانية
على صفحة السماء الداكنة
كل قبّرة تزقزق بوجل
وتحوم حول عشها .

كل أم تتحلّق حول صغارها
في مغارة الوحدة .
كل رحى تدور
حول أحوال الذات المقهورة
وكل أغنية
تُفشي سطوةَ المستبد .
لا أقاوم صوت المطر
سيوله التي تكتسح
عناد الأرض ..
جداوله التي تغرّد
في أسماع الحقول العطشى
صفير رياحه
في النوافذ الموصدة
وبياض ثلجه
على الذوائب الناصعة
ومهمازه الحاد
الذي ينخسُ سبات
الذكريات ..

ـــــ جمعة عبد العليم. ليبيا

****

لم يكن ثمة أمر إلا وكان
يعنيني
كل شيء مقابل اللاشيء
وفي ذاك الفجر
كان كلك مقابلي
حاولت مراراً أن اقتنع، أن
الفهم طريق
وأن الطريق منطق
وأن المنطق قلب
أفتش بجنون محض
عن ترتيب إشارات
تصيب ابتداء الجريان
بهوس الاتجاه
وانا بين بين
أنتشي تارة بلون خفي للرؤى
وتارة أسقط في هوة الأمل
أعتب على ستائر الغيب
عتب غصن فتي على قرار
جذعه بسبات طارىء
لزام فيه أن يؤجل برعم
متهور
انفجار ضحكته
لم يكن ثمة أمر يعنيني
سوى تدرج انبثاق شمس

الروح
من أطراف بوادي
الاحتمالات
والاحتمال وحيد
يتجاذب أطراف الغياب مع
فكرة لم تعد محتملة
وأنا بنت ثواني تطرز احتمال
الأحتمال
وفي خضم ساقية تساؤل
هاربة
أكانت تلك الحرائق البديعة
يعنيها أن يكون كلي
ريح مشاكسة تذر فقط تباه
طفولي
بيد تحمل قلباً لايعبأ سوى
بموسيقى الانعكاس .

ـــــ لبنى ونوس. سوريا

****

وجوههم المكررة
على المرايا تقتسم الحنين
والخوف ..
تغسلها الشّمس يوماً
ثم تجفف شحوبها أكمام
أرواحهم ليالٍ مثيرة لماءٍ آسن
استلقى على ساقية أجساد
لم تروهم إلا عطش الحياة
وظمأ الشجاعة.
يقول الحالكون أن الليل
هجم عليهم
دفعة واحدة
ثم يعولون على ضوء
القذائف
بعضهم وافته المنية
واقفاً أمام أعمدة الإنارة
المعطلة
وبعضهم تعاطى القلق
كنوع من الشعور بأنه لا زال
حياً
وحشر يده في فم الزقاق
وولى هارباً لأقرب مقبرة.
كان لليلهم يد
تبطش بفُرْشهم الرثة
وضوءهم الخافت
ولأنها كانت تسرق أمانهم
الخائف
ونعاسهم الضئيل
أقاموا عليه الحد
وقطعوا يد عتمته
وسكبوا في السراج زيت
أرواحهم
حتى انطفأت وانطفأ
سراجهم.

المنطفئون ..
يحذرون درج الليل حين
يصعدون إلى السقوف بحثاً
عن النور..
جمعوا الحطب وحين أضاعوا
قداحة الأيّام
أشعلوه بحزنهم
ثم بحثوا عن جرار الماء
المتروكة
على دكة العمر..
تساءلوا:
كم انطفاء فرحٍ مررنا به؟
كم شرر جمرٍ تسرّب إلى قلوبنا
حتى احترقت ومات نبضها؟

ـــــ بسام المسعودي. اليمن

رسالة ضدّ السلطة ..

ناهدة عقل. سوريا

مَن يقرأ رسالة الأديب الألماني الشهير "فرانز كافكا" (1883ـ1924م) إلى والده ـ تلك الرسالة الشخصيّة التي نُشرت بعد موته بزمن، وتهافت عليها النقّاد بالشرح والدراسة لمّا تمّ التعامل معها كوثيقة أدبيّة تضاهي المؤلفات الأخرى لكافكا قيمةً وأثراً برأي البعض ـ ؛ يكتشفُ وراء صورة ذلكَ الكاتب الغامض العملاق والمفكّر الذكي اللمّاح مبدع أغرب المناخات الأسطورية المشحونة بالقلق والخوف والترقّب في عالم الأدب، كاتب (المسخ) و(القلعة) و(المحاكمة) وغيرها من الأعمال العظيمة الخالدة ؛ يكتشفُ صورة طفل نحيل مكتئب متجهّم قَلِق وضعيف الثقة بالنفس. هذا ما يصف كافكا به نفسه خلال حديثه عن علاقته بأبيه والتي تُشكّل موضوع الرسالة ومحورها.

((وعلى كلّ حال ينبغي أن أقول أنّ مثل هذا الابن الصامت، المكتئب، الجاف، الهزيل، المتداعي، خليقٌ بأن يكون ابناً لا يُطاق بالنسبة لي .)) ص62

يقول "كافكا" هذه الجملة لأبيه من باب تحميل نفسه جزءاً من المسؤولية عن تلك العلاقة "المسمومة" العاديّة والغريبة في آن – التي جمعتهما طوال حياته والتي كانت تقف وراء كلّ إخفاقاته وفشله في أعماله وعلاقاته وخطوات حياته ولاسيّما محاولات زواجه المتكررة التي باءت بالفشل.

فالكاتب يفرد جزءاً كبيراً من الرسالة للحديث عن هذا الموضوع لما يشكّله من أهميّة في حياته من حيث أنه يعني "الهروب من الوالد". حتّى أنّ هذه (الرسالة – الكتاب) – فهي تمتدّ على نحو المئة صفحة – كانت بديلاً معادلاً لموضوع (الزواج – الهروب) ذاته، إذْ يقول كافكا بوضوح في موضع ما عن الرسالة جملةً قويّةً ومؤثّرةً جدّاً : "كانتْ وداعاً طويلاً لك ... أطلتُهُ عمداً".

على أنْ لا نفهم بشكلٍ سطحيٍّ وساذج أنّ هذه الرسالة مجرّد

محاولة لتبرير الفشل وإلقاء اللوم على مركز السلطة التي يمثّلها الأب في حياة "كافكا" جرّاء هذا الفشل. فلا كاتب الرسالة شخصٌ عاديّ ولا سيرة حياته سيرة نمطيّة – أو لنقل عاديّة – لشخصٍ عاديّ. وبالتالي ليس لذات الكلمة المعنى ذاته في حياة الشخصين؛ فما يسمّيه "كافكا" فشلاً بمصطلحه الخاصّ وحكمه الخاصّ على حياته ونفسه، هو ذاته ما أثمر نجاحاً على أرقى المستويات والصعد لمّا حوّل هذا المبدع جملةَ احباطاته وجروحه وتعاساته الشخصيّة إلى نسيجٍ أدبيٍّ وفنّيٍّ رفيعٍ خالد.

في هذه الرسالة التي تأخذ بعقل وقلب القارئ من أول سطرٍ وجملة، يرى كلٌّ منّا نفسه (أو جزءاً من نفسه على الأقل) في صورة الطفل التي يعبّر عنها "كافكا"، والتي كانت هي صورته الحقيقية في العالم الواقعي. فهذه الرسالة كما سبق وذكرت شخصيّة جدّاً قد كتبها "كافكا" الشاب إلى أبيه محاولاً إيضاح ملابسات العلاقة المعقّدة بينهما. إلا أن النقاد وجدوها ذات صبغة أدبية واضحة، ذاك أنّ "كافكا" – وفق اعتقادي – تعمّد حين كتب هذه الرسالة أن يُبرز مواهبه الأدبيّة في الكتابة أمام أبيه، المرسل إليه والمعني الوحيد بقراءتها. أراد أن يثبت نفسه أمام الوالد الذي يشكّل عقدة حياة ابنه النفسيّة والذي لطالما قلّل من شأنه واعتبره لاشيء.

((وبشكل صحيح أكثر أصبت بنفورك كتابتي وما يتعلّق بها .)) ص48، وعدا عن هذا "العيب" إن جاز لنا تسميته بالعيب – في الرسالة فإنّها وثيقة إنسانيّة نادرة تخبرنا بـ "عظمة" شخصيّة "كافكا" الواقعيّة كما الأدبية وصفاتها النبيلة إلى أبعد حدّ؛ حيث يظهر صادقاً إلى أبعد حدّ، حدَّ أذيّة نفسه – حسّاساً كما أرقّ طفل – ذكيّاً حذراً صبوراً دقيقاً أميناً في كلّ كلمة ومخلصاً للحقيقية قبل كلّ شيء.

يظهر "خوفه" الذي لازمه طوال حياته حتّى وهو يكتب هذه الرسالة الاتّهامية إلى منبع الرعب ورمز السلطة التي طغت عليه طيلة حياته، رغم أنّ رسالته بحدّ ذاتها تعدّ أعظم مجابهة لهذا الرمز. كما تظهر ملامح آلامه الجسديّة المزمنة التي رافقته طيلة حياته كذلك والتي تشكّل جزءاً من تركيبته الابداعيّة العظيمة دون شكّ.

وأكثر من هذا وذاك يظهر "حبّ" كافكا العميق والكبير لوالده، وإن كان مختبئاً بين السطور بسببٍ من كبرياء الطفل العنيد الذي لازم "كافكا" وهو شاب. ما لم يلاحظه أو يكتب عنه أيٌّ من النقاد الذين كرسوا جزءاً من حياتهم لدراسة أدب "كافكا". فرغم كلّ ما تقوله الرسالة بشكلٍ مباشر وصريح عن جبروت وطغيان الوالد إلّا أنّ كافكا لا يدّعي بحالٍ من الأحوال أنّه ضحيّة ظلم والده. بل يردّ كل شيء لجبلته الضعيفة التي أتت من عوامل وراثية إلى جانب أسلوب تربية ابيه القاسية التي أفقدته الثقة بنفسه وزرعت فيه شعوراً بالذنب سمّم حياته: ((كنت دائماً تريني عجزي ....الخ)). تفضح هذا الحبّ الكبير جملة بسيطة يتيمة يوردها "كافكا" عبر سيل الاتهامات وذلك حين يقول: ((هناك استثناءات أيضاً .. مثلاً عندما كنت أراك سابقاً في أيام الصيف القائظة، بعد طعام الغداء، وأنت تغفو قليلاً في المتجر، وقد وضعت مرفقيك على الطاولة، في مثل تلك اللحظات حين يتغلب الحب والطيبة بقوتهما على كلّ ما يعترض سبيلهما ويتمكنّان من القلب مباشرة، كنت أبكي فرحاً وأعود إلى البكاء وأنا أكتب هذا الآن)) ص27.

كثير وجميلٌ ومهمٌّ جداً ما تقوله هذه الرسالة، لكنْ يظلّ الأبرز فيها هو ما تخبرنا به بطريقة غير مباشرة عن أنّ خوف "كافكا" الطفل الذي حاربه طوال حياته بالحبّ – كان بذرة ومحرّك إبداعه، تماماً كما كان لعنة وعذاب حياته. أنّ احتقار أبيه كان حافزاً دفعه إلى أن يصنع من نفسه شيئاً له قيمة، مارداً كأبيه (وفق رؤية الطفل الذي كانه) عظيماً في نظر الناس ونظر نفسه والأهم في نظر أكثر من يحبّ "والده".

وإلى جانب كلّ تلك القيمة الأدبية الفنيّة والإنسانية ثمّة أهمية استثنائيّة لها بما تثبته عن أنّ "الصدق" في الأدب كما في الحياة له وحده سلطان الأثر والخلود في قلوب الآخرين.

لماذا يفترق الحبيبان؟

أسعد طه- مصر- وكالات

(1)

يقعان في الحب، يزلزل الغرام حياتهما، يقرران الارتباط ليعيشا معاً حتى الموت، تعترضهما مشاكل عديدة من عائلتهما ومن المجتمع، يواجهان الأمر بشجاعة وصبر وينتصران، يتزوجان، وبمجرد أن تمضي سنوات قليلة حتى يقررا الافتراق، يمتدح كل منهما الآخر، لكنهما يقرران الانفصال. يسأل الجميع: ماذا حدث؟ ما الذي قلب الأمور رأسًا على عقب؟

(2)

هل يتغير الإنسان؟

وهل هناك إنسان لا يتغير؟ بل هو يتغير بطريقة عجيبة ومخيفة أحياناً، الشخص الذي ارتبطت به، أصبح اليوم كائنًا آخر، ربما لا صلة له بهذا الذي اخترته رفيقًا للعمر. لا علاقة للأمر بالأخلاق، وهي ليست المقصودة هنا. وإنما المقصود هُوية الشخص، صفاته، مزاجه، أفكاره.

نعم، الأصل أن يتغير الإنسان، بل بقاء المرء على ما هو عليه لـ20 و30 عامًا أمر غير منطقي، الإنسان يجدد نسخته كل فترة، تماماً كما نفعل مع أجهزتنا الإلكترونية، يحدث ذلك عن عمد أو دون عمد، الحياة اليومية التي نمر بها، وتجاربنا التي لا تنتهي؛ لا تتركنا كما كنا أبداً.

أنتغير إلى الأفضل أم نتغير إلى الأسوأ؟

لكل فرد حالته، بل ربما يكون لمن حوله آراؤهم المتناقضة فيه، فهناك من يرى أن الشخص المقصود طور نفسه وأصبح نسخة أفضل، وهناك من يرى أن النسخة المستحدثة بائسة، وهذا ينطبق على الطرفين. إذن أصبح لدينا نسختان، لكل طرف نسخة جديدة، فهل تتوافق النسختان الجديدتان كما توافقت النسختان القديمتان؟

الأمر مخيف، ومثير للرعب، أن تستيقظ في الصباح فتجد رفيق الحياة وقد فقد رغبته فيك، فقد شغفه بك، فقد جنونه بوجودك.

(3)

هل كان هذا يحدث لآبائنا وأجدادنا؟

لا يمكن المقارنة، لكل جيل خصوصيته، وظني أن إيقاع الزمن الآن أسرع كثيراً جداً من الزمن الذي عاشه آباؤنا، لذا فإن التغييرات التي تلحق بنا سريعة جداً أيضاً. كان آباؤنا في أغلبهم يولدون ويعيشون في بلدانهم حياة مستقرة إلى حد ما، أما هذا الجيل، فإنه يواجه فتناً ومحناً ضارية بفعل التطورات السياسية، يستوي في ذلك الذين هاجروا والذين بقوا، أحداث عاصفة، وبركان أفكار، وأزمات اقتصادية خانقة، ووسط ذلك كله يصعب على المرء البقاء كما هو، هادئاً مستقراً، يذهب إلى عمله، ويعود منه هادئ البال.

(4)

هل يمكن أن تنطفئ المشاعر فجأة؟

ولم لا؟! لماذا ننسى أن تلك المشاعر قد ولدت فجأة، دون سبب واضح، تعلق القلبان ربما من النظرة الأولى، دون

أي حسابات، لقد اختارها هي بالذات رغم أن هناك من هي أجمل منها، لقد اختارته هو بالذات رغم أن هناك من هو أفضل مقدرة وحالاً، غير أن كل واحد قد اختار رفيقه لأسباب مجهولة، لا يعرفها الشخص نفسه، إنما قلبه يدفعه دفعاً، لذا -وكما ولدت هذه المشاعر دون سبب واضح- فإنها قد تموت دون سبب واضح للأسف.

الأمر مخيف، ومثير للرعب، أن تستيقظ في الصباح فتجد رفيق الحياة وقد فقد رغبته فيك، فقد شغفه بك، فقد جنونه بوجودك. للأسف في أي علاقات إنسانية ليست هناك أي ضمانات لاستمرارها، لا يمكن أن تتخذا إجراءات ما قبل الارتباط تضمن لكما الاستمرار على ما تحبان، وأن الرفيق لن يتغير.

لكني لا أظن أن هذا يحدث فجأة، لقد كانت هناك علامات ومؤشرات لم تنتبها لها، ولم تعملا على علاجها، والأسباب التي تؤدي إلى ذلك كثيرة ومتعددة:

الروتين -مثلًا- الذي لم تفكرا في كسره، الحياة اليومية المملة، المستمرة والمتواصلة بنفس طقوسها دون انقطاع، لا عطلة أسبوعية ولا سنوية.

تدخلات العائلتين، نصائح الأصدقاء بحسن نية أو بسوء نية، قد تورِّط الطرفين في ما هو أسوأ.

مفاهيم كل طرف عن الحياة الزوجية، وعن دوره فيها، وعن آلية العلاقة مع الطرف الآخر، مع ما يعتقده البعض بأنها أشبه بحرب يجب خوضها بضراوة، والانتصار على الخصم (الحبيب)، وإثبات الذات والوجود.

اختلاف الثقافات والمعتقد، بين جنسيتين مختلفتين، لتتحول حالة الانبهار بالآخر إلى حالة الرفض له.

النكد الذي يجيده أحدكما، ويجده سببا لإظهار القوة والسيطرة، في حين أن الطرف الآخر يرغب في الحياة، ويريد أن يعيشها سعيداً فرحاً.

ربما السفر والغياب، الذي يلهب الشوق في البداية، ثم ما يلبث أن ينقلب إلى برود في المشاعر.

ألفُ سبب وسبب، وألفُ علامة وعلامة، لكنكما لم تنتبها لها.

(5)

هل يمكن تجنب ذلك؟

في أغلب الأحوال نعم. إذا كان الطرفان بداية يؤمنان بأن الزواج أكبر من اللحظة التي يوقّعان فيها على شهادة رسمية أمام المأذون. يؤمنان بأن الزواج مشروع للحياة، مؤسسة تحتاج إلى الإدارة، والرعاية والصيانة والتجديد.

وهل هذا يضمن ألا يفترق الحبيبان؟

للأسف في أي علاقات إنسانية ليست هناك أي ضمانات لاستمرارها، لا يمكن أن تتخذا إجراءات ما قبل الارتباط تضمن لكما الاستمرار على ما تحبان، وأن الرفيق لن يتغير.

نعم حسن الاختيار يقلل من احتمالات الاختلاف والفراق، لكنه لا يضمن عدم وقوعه، ثمة أشياء لن تستطيع اكتشافها في نفسك وفي شريك حياتك إلا بعد الزواج، بعد الحياة اليومية، بعد تحمل المسؤولية، بعد مواجهة مشاق الحياة.

(6)

هل يمكن أن ننجو من الفراق؟

ابتعدا.. افترقا لفترة محدودة. فنحن عندما نغضب لا نفكر في قيمة ما نملك، الفراق المؤقت يمنحنا الفرصة لإعادة حساباتنا. إنه بمثابة هدنة، يراجع فيها كل طرف نفسه، ومن العدل أن يتذكر محاسن الآخر كما يحفظ جيدًا مساوئه، يُذَكِّر نفسه بأن لا شخص كامل، وأنه هو نفسه لديه عيوب، وأن أي إنسان آخر سيرتبط به لاحقاً سيكون لديه عيوبه أيضاً.

إنه «وقت العقل»، التفكير المتزن، اختيار العقلاء من الأصدقاء لاستشارتهم، دعاء الله أن يهبه القرار السليم استحضار الأيام الحلوة، خطط المستقبل، وتمامًا مثل أي شركة تتعرض للخسارة يحاول رسم خطة لإعادة البناء.

فإذا فشل ذلك كله فليسلم أمره لله.

(7)

ماذا نفعل عند الفراق؟

امنح نفسك الفترة الكافية للحزن، إنه شعور إنساني طبيعي، فلا تجبر نفسك على فعل ما هو غير طبيعي، لكن لا تقض وقتا طويلًا في ذلك. إذا كانت التجربة فاشلة، فإن تذكرها واستحضار أحداثها هو كأنك تعيشها مجدداً كأنك تعاقب نفسك بنفسك. لملم جراحك وامض.. الحياة كلها تجارب قاسية، فلا تتوقف. لا تدخل في ارتباط جديد إلا بعد أن يلتئم الجرح تمامًا، وإلا آذيت نفسك ومن ترتبط به. اطو الصفحة وابدأ من جديد واستفد من تجربتك. نعم هذا ليس سهلًا، لكنه ليس مستحيلًا.

قصيدة مجهولة لعلي محمود طه..

نهايـــــة موسيليـــني ..

مصطفى يعقوب عبد النبي. مصر

لم تشهد مصر عبر تاريخها الأدبي نشاطاً شعرياً وزخماً في أعداد الشعراء كما شهدته في النصف الأول من القرن الماضي، بداية من بروز «البارودي» كرمز لعصر الإحياء، وتلاه بعد ذلك عصر ظهر فيه «شوقي»، و«حافظ»، و«مطران»، ثم مالبثت أن ظهرت جماعة الديوان ؛ «العقاد»، و«شكري»، و«المازني»، وأخيراً ولدت «جماعة أبوللو» التي برز منها عدد كبير من أهم شعراء العربية في العصر الحديث، مثل «إبراهيم ناجي»، و«علي محمود طه»، و«حسن كامل الصيرفي»، و«أبي القاسم الشابي»، وغيرهم، فضلاً عن مؤسس الجماعة نفسها وهو «أحمد زكي أبو شادي».

وإذا كان لكل شاعر من شعراء هذه الجماعة ميزة من الميزات ينفرد بها عن الآخرين، مما نطالعه في كتب النقد والأدب، فإننا لا ننكر أن «علي محمود طه» (1901 - 1949) قد تميز عن أبناء جيله بموسيقاه الآسرة في ألفاظ أبيات شعره، وعلى حد تعبيره حيث يقول :

أبيات شعر أنا بناؤها ..
وآجرها اللفظ السري الثمين
رسمتها بعض خطوط كما ..
يرسم أفق الكون للناظرين (1)

• علي محمود طه ونتاجه الشعري :

لعلنا نحسن صنعاً إذا تجاوزنا الحديث عن سيرة الشاعر الذاتية، فهذا من الأمور التي ما تحفل عادة به كتب الأدب العربي المعاصر، وكذلك ـ إلى حد كبير ـ الدوريات الأدبية التي تتعرض لبعض رموز الشعر العربي المعاصر، وإن ما يهمنا في هذا المقام هو نتاجه الشعري وخصائصه الفنية من خلال نقد النقاد. وعن نتاجه الشعري؛ فقد أصدر الشاعر في عام 1934 ديوان «الملاح التائه»، وتلاه بعد ذلك ديوان «ليالي الملاح التائه»، الذي صدر عام 1940، والذي من أشهر قصائده قصيدة «الجندول» التي غناها «محمد عبد الوهاب»، وقد عرف بعدها بـ «شاعر الجندول»، وفي عام 1943 صدر له ثالث دواوينه وهو «أرواح وأشباح»، وهذا الديوان يوشك أن يكون قصيدة واحدة قسمها الشاعر بما يشبه الفصول، فهي رباعيات متفقة الوزن، والذي جاء على «بحر المتقارب»، وإن اختلفت قوافيها. ولم يمض عام إلا وقد صدر له رابع الدواوين وهو «أغنية الرياح الأربع»، وقد استلهم مادة هذا الديوان من نصوص الأدب المصري القديم، وفي العام نفسه، أي في عام 1943 يصدر الشاعر ديوانه الخامس «زهر وخمر»، الذي يفتتحه بواحدة من أشهر قصائده، وهي قصيدة «ليالي كليوباترا»، وهي أيضاً كسابقتها «الجندول» وقد غناها محمد عبد الوهاب، وفي عام 1945 يصدر الشاعر ديواناً بعنوان «الشوق العائد»، وفي عام 1947 يصدر الشاعر ديوان «شرق وغرب»، ويلاحظ في هذا الديوان أن الشاعر قد قسّمه إلى قسمين؛ الأول : تحت عنوان «أصداء من الغرب» والذي استوحى قصائده من رحلاته العديدة إلى أوروبا، أما الثاني فيأتي تحت عنوان «أصوات من الشرق» ينهج فيه الشاعر بعداً قومياً عروبياً، ولعله أراد أن يعوض ما فاته في قلة الحديث عن هذا الجانب، لذا نجد في هذا القسم قصائد من نوعية «يوم فلسطين»، و«شهيد ميسلون» و«إلى أبناء الشرق» ...الخ .

هذا هو نتاج «علي محمود طه الشعري»، أما فيما يتعلق بالمواقف النقدية تجاه شعره، فقد استرعى انتباهنا اختلاف الرؤية النقدية تجاه النتاج الشعري للشاعر، وإن أردنا الدقة تجاه بعض شعره، ذلك الاختلاف الذي يصل إلى حد التناقض الحاد، فعلى حين أن «طه حسين» على الرغم من قسوته في النقد على معظم الشعراء في تلك المرحلة، إلا أنه معجب أشد الإعجاب بشعر هذا الشاعر، فيقول عنه)) : وأريد أن أضيف إلى ما يعجبني من شعره، أنه حلو الأسلوب، جزل اللفظ ، جيد اختيار الكلام، وأن لألفاظه ومعانيه رونقاً أخاذاً تألفه النفس وتكلف به وتستزيد منه، وأن في شعره موسيقى قلما نظفر بها في شعر كثير من شعرائنا المحدثين، وأنه قد استطاع أن يلائم إلى حد بعيد لا بين جمال اللفظ وجمال

المعنى فحسب بل بين التجديد والاحتفاظ باللغة في جمالها وروائها وبهجتها وجزالتها «(2).))، وإذا استثنينا صاحب «الرسالة»، «أحمد حسن الزيات» الذي يرى في ديوان «أرواح وأشباح» أنه)) حادث جديد في حياة الشعر المصري لا يليق بالنقد الأدبي أن يهمل الاحتفال بتسجيلها، وهي قصيدة من النمط العالي، لا تُحكّ في حلقة من سلسلتها، إلا ثبتت على المحك، فهي في الصياغة مشرقة البيان، منتقاة اللفظ، وفي التفكير واضحة المنهج، سديدة المنطق، وفي التخيّل بعيدة الغاية ...الخ « (3)))، لأنه كان صديقاً حميماً للشاعر في فترة الشباب الباكر حيث جمعتهما صداقة وطيدة في مدينة المنصورة (4)، نجد أن النقاد قد أجمعوا على شاعرية «علي محمود طه» وعلو كعبه في عالم الشعر، باستثناء ناقد واحد وهو الدكتور «شوقي ضيف» الذي لم يجد في شعر الشاعر سوى ألفاظ منسقة دون أي معنى أو فكر، ففي فصل بعنوان «ضجيج الألفاظ الخلابة عند علي محمود طه»، جاء فيه:)) فليس (يقصد الشاعر) صاحب نزعة فلسفية في شعره ولا هو صاحب نزعة نفسية، إنما هو صاحب لغة شعرية تبعث النشوة في نفس سامعه أو قارئه بألفاظها البراقة وما تحمل من رنين يبدع فيه ويفتن، ولكنك إذا أنعمت النظر في هذا الرنين لم تجد فيه فكراً بعيدا ولا معنى عميقاً. فأنت عنده قلما تجد شيئاً يمتع عقلك ، وإنما تجد الألفاظ الشعرية المشعة والموحية فتؤثر في سامعيه، فإذا هم قد وقعوا في شباكها.)) (5). ولعل السؤال الذي يطرح نفسه، ما حكم النقد المنصف والموضوعي حيال هذين الموقفين المتناقضين ؟ ولاسيما أن القارئ لكتاب الناقد «أنور المعداوي» الذي ألّف كتاباً ضافياً بعنوان «علي محمود طه شاعر الأداء

النفسي»، سوف يجد نفسه عندما يقرأ الكتاب أنه أمام واحد من الشعراء الأفذاذ، سابق لعصره في لغته، وقدوة لمن يأتي بعده في فنه وشاعريته .

• قصيدة مجهولة :

دأبت بعض دور النشر على جمع أعمال كاتب ما أو شاعر ما، وطبعه في مجلد أو عدة مجلدات تحت اسم «الأعمال الكاملة»، وهذا عمل محمود ومقدّر في حد ذاته، أن تُجمع المؤلفات المتفرقة للأديب، كاتباً أم شاعراً. والتي يتعذر على القارئ الحصول عليها لسبب أو لآخر، في مجلد واحد أو أكثر ليكون في متناول القارئ أو الباحث، وعلى الرغم من تلك الميزة الكبرى التي تتيحها دور النشر في إصدارها «الأعمال الكاملة»، إلا أن العيب الوحيد في هذا الأمر - وهو عيب ليس بالهيّن - أن هذه «الأعمال الكاملة» إنما هي دواوين الشاعر التي أصدرها في حياته، أي أنه انتقى خير قصائده، أو حجب بعض قصائده التي نشرها في الدوريات الصادرة في حينها ثم تغيرت الظروف السياسية أو الاجتماعية مثلاً، فرأي أنه من غير المناسب وضعها ضمن قصائد هذا الديوان أو ذاك، أو أن عدداً من القصائد قد سقط سهواً، وغير ذلك من الأمور التي تجعل من «الأعمال الكاملة» أعمالاً غير كاملة لأنها قد خلت من كل ما نظمه الشاعر. وبالنسبة لشاعرنا فقد ظهرت طبعات عديدة من بعض دور النشر في بيروت والقاهرة، وجميعها قد جمعت دواوين الشعر المتفرقة وأصدرتها في مجلد واحد وربما أكثر من مجلد، غير أن أهم ما صدر- مؤخراً - هو «الأعمال الكاملة.علي محمود طه»، جمع وتحقيق ودراسة الأستاذ «محمد رضوان» في أربعة أجزاء، صدرت جميعها عن الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة سنة 2010. وقد تمكن المؤلف من تسجيل بعض القصائد التي لم تنشر في الدواوين، كما أثبت أيضاً الكتابات النثرية المجهولة للشاعر. وعلى الرغم من أن الجزء الخاص بالقصائد المجهولة قد ذيله بمصادر تلك القصائد المجهولة، ذاكراً مصدر كل قصيدة على حدة، حيث نشرها الشاعر لأول مرة في حينها، إلا أنه قد استثنى قصيدة واحدة قد أغفل المؤلف المصدر الذي نقل عنه تلك القصيدة، وهي قصيدة «علي محمود طه» في رثاء حافظ إبراهيم، فلم يذكر مصدرها الذي نشرت فيه، وكان من الواجب عليه ذكر المصدر، أسوة ببقية ما ذكره من قصائد. والحقيقة أن كاتب هذه السطور هو أول من أثبت تلك القصيدة المجهولة الذي نشرها في غير هذا المكان قبل صدور «الأعمال الكاملة» بعشرة أعوام(6) .

نخلص من هذا لنقول أننا قد عثرنا في بعض أعداد مجلة «الرسالة» التي كان يصدرها الأديب الكبير «أحمد حسن الزيات»، وتحديداً في العدد 526 الصادر في 2 أغسطس 1943 على قصيدة بعنوان «نهاية موسيليني»، وهي قصيدة مجهولة لم يحوها أي من دواوين الشاعر، ولم تحوها أيضاً أيّ من طبعات «الأعمال الكاملة» المختلفة، ولعل القارئ للقصيدة سوف يجدها - من ناحية المبنى- أنها تتميز بنمط بنائي لم يتكرر كثيراً، وهو وحدة القافية في مقطع شعري مكون من أربعة أبيات، وهو أمر يدل دلالة واضحة على الاقتدار الشعري - إن جاز التعبير - لشاعر يعد من أعذب الأصوات الشعرية في العصر الحديث .

وها نحن نقدم هذه القصيدة التي تنشر الآن لأول مرة، إحياء لذكرى هذا الشاعر الكبير ولمحبي الشعر الرائع الجميل .

نهاية موسوليني

للأستاذ علي محمود طه

نبأٌ في لحظةٍ أو لحظتين ..
طاف بالدنيا وهزّ المشرقين
نبأ ، لو كان همس الشفتين ..
منذ عام ، قيل إرجاف ومين ؟
وتراه أمة بالضفتين ..
إنه كان جنين « العلمين «
موسيليني، أين أنت اليوم ؟ أين؟ ..
حلم؟ أم قصة ؟ أم بين بين ؟
.....
قصر «فينيسيا» اليوم يهدي ..
لعنة «الشرفة»(1) في قربٍ وبعدِ
عجبا، يا أيهذا المتحدي ..
كيف ساموك سقوط المتردي
إمبراطورك في هم وسهد ..
صائحاً في ليلة لو كان يجدي :
أين يا «فاروس»(2) ولّيت بجندي؟ ..
أين ولّيت بسلطاني ومجدي ؟
.....
اعتزلت الحكم أم كان فرارا ..
بعد أن ألفيت حوليك الدمارا
سقت للمجزرة الزغب الصغارا ..
بعد أن أفنيت في الحرب الكبارا
يا لهم في حومة الموت حيارى ..
ذهبوا قتلى وجرحى وأسارى
يملأون الجو في الركض غبارا ..
وقبوراً ملأوا وجه الصحارى
.....
أعلى « الصومال « أم « اديس ابابا ..
«ترفع الراية، أم تبني القبابا
أم على « النيل « ضفافاً وعبابا ..
لمحت عينيك للمجد سرابا
فدفعت الجيش أعلاماً عجابا ..
ما لهذا الجيش في الصحراء ذابا ؟
بخّرته الشمس فارتدّ سحابا ..
حين ظن النصر من عينيه قابا
.....
يا أبا « القمصان « جمعا وفرادى ..
أحمّت قمصانك السود البلادا
لم آثرت من اللون السوادا ؟ ..
لونها كان على الشعب حدادا !
جئت بالأزياء تمثيلاً معادا ..
أيّ شعبٍ عزّ بالزّي وسادا
إنه الروح شبوبا واتقادا ..
لا اصطناعاً بل يقيناً واعتقادا
.....
موسيليني قف على أبواب روما ..
وتأملها طلولا ورسوما
قف تذكرها على الأمس نجوما ..
وتنظّرها على اليوم رجوما
أضرمت حولك في الأرض التخوما ..
تقتفي شيطانك الفظ الغشوما
أو كانت تلك «روما» أم «سدوما» (3) ..
يوم ذاقت بخطاياك الجحيما
.....

هي ذاقت من يد الله انتقاما ..
لأثام خالدٍ عاما فعاما
يوم صبّت فوق بيروت (4) الحماما ..
لم تذر شيخاً ولم ترحم غلاما
من سفين يملأ البحر ضراما ..
ذلك الأسطول كم ثار احتداما
أين راح اليوم ؟ هل رام السلاما ؟ ..
أم على الشاطئ أغفى ثم ناما !
.....
أي عدوان زريّ المظهر ..
بدمٍ قانٍ ودمعٍ مهدر
حين طافت بحمى «الاسكندر» ..
أجنح من طيرك المستنسر
تنشر الموت بليلٍ مقمرٍ ..
يا لمصر، أترى لم تثأر
بيد المنتقم المستكبر ؟ ..
أترى تذكر ؟ أم لم تذكري؟
.....

موسيليني لست من أمس بعيدا ..
فاذكر «المختار» والشعب الشهيدا
هو روح يملأ الشرق نشيدا ..
وينابيك ولا يألو وعيدا
موسيليني خذ بكفيك الحديدا ..
وصغ القيد لساقيك عتيدا
أو فضع منك على النصل وريدا ..
فدمي يخنقك اليوم طريدا

---

(1) شرفة قصر البندقية التي كان يلقي فيها موسيليني خطبه الحربية .

(2) قائد جيوش الامبراطور الروماني «أغسطس» ذهب على رأس جحافل جرارة من الرومانيين لمحلابة الجرمانيين في العام التاسع للميلاد، فوقع في كمين وابيدت جيوشه الجرارة عن آخرها، واستولى على الامبراطور حزن شديد ، فكان ينهض من نومه ويصيح :فاروس ! فاروس اين جيوشي أين ذهبت بجيوشي يا فاروس.

(3) قصة تدمير سدوم وعمورة من القصص الديني الماثور. إذ سلط الله عليهم الرجم النارية عقابا لما اقترفه أهلها من آثام .

(4) المأساة الدامية التي مثلها الأسطول الإيطالي في الحرب العثمانية الإيطالية .

رحم الله الشاعر علي محمود طه رحمة واسعة بقدر ما أهدى لأمته العربية من شعر رائع بليغ .

الهوامش:

1 . الأعمال الكاملة ...علي محمود طه ، جمع وتحقيق ودراسة محمد رضوان ، ص306 .
2 . حديث الأربعاء ، طه حسين ، ج3 ص147 .
3 . وحي الرسالة ،أحمد حسن الزيات ، ج3 ، ص 115 .
4 . المصدر السابق ، 161 .
5 . دراسات في الشعر العربي المعاصر ، د. شوقي ضيف ، ص 199 .
6 . قصيدة نادرة مجهولة لعلي محمود طه ، مصطفى يعقوب عبد النبي ، الرافد ، العدد 34 ، يونيو 2000 ، ص64 .

الجذور التأريخية لشخصية الشيطان الغيبية ..

الحكيم البابلي.وكالات

منذُ بداية الخليقة عرف الإنسان أن هناك خير وشر، لكنه لم يكن يعرف كيف يرمز لهاتين الكلمتين كما نفعل اليوم من خلال المفهوم الكلاسيكي للملائكة والشياطين، لهذا اكتفت الحضارات القديمة على تصوير أو فهم الخير والشر عن طريق الآلهة التي صَنعَتها وصَوَرَتها، فكان هناك آلهة للخير وأخرى للشر في كل الحضارات. وكانَ قد تَمَ تصوير الشر بالعفاريت والجن والأرواح الشريرة كما في حضارة السومريين والبابليين والآشوريين وغيرهم. وعلى سبيل المثال كان في «سومر» إله للشر بإسم العفريت «إساج»، يمثل الشر والأمراض والأوبئة، وكان واحداً من كائنات العالم السفلي (عالم الأموات – عالم اللا عودة)، وقد عبدهُ السومريون إتقاءً لشرهِ.

وبجانب "إساج" كان هناك إلهاً آخراً للشر هو (حدد أو هدد) والذي أصبح فيما بعد إلهاً للآشوريين، وتمت عبادته أيضاً خوفاً وإتقاءً لشرهِ، لأنه كان إلهاً مُرعباً للأجواء، يمتطي العواصف ويَخورُ كالثور رافعاً بيديه شوكة البرق الثلاثية. كذلك كان هناك جن وعفاريت كثيرة مثال: نمتار ، ماميتو، أودو، حديم، جالا، دمة، لوليلا، سمانة، بزوزو، ألاد، لاما، شدو، لاماسو، أوتوكو، وغيرهم. وكانت كلمة "مريض" في اللغة السومرية تعني: الشخص الذي يسكن في داخله عفريت.

أما في "بابل" فقد كان هناك صراع دائم بين قوى الخير والشر منذ بداية ما سموه قصة الخلق البابلية (إينوما إيليش – عندما في الأعالي)، والحرب الضروس بين الإله "مردوخ"، وإلهة الشر "تعامات" التي إنتصر فيها مردوخ في نهاية المطاف .

لم يكن للعفاريت دور بارز في مجمع الآلهة في بلاد الرافدين، ولكن كان يُتَقى شرهم بالتعاويذ والرُقى، وغالباً ما كانوا يُصَوَرون كمارقين، فقد طُرِدَت العفريتة "لاماشتو" من السماء بسبب شرورها، وربما من أسطورتها أو قصتها تم إقتباس فكرة طرد الشيطان من الجنة لاحقاً في الديانات التوحيدية التي عُرِفَت بكثرة إقتباساتها من حضارة وأساطير مابين النهرين وكنعان ومصر القديمة.

يقول الكاتب "علي الشوك" في كِتابهِ "الأساطير": (كانت العفاريت تضمر الشر للبشر وتُسبب لهم مُختلف الأمراض، ومن هنا نشأت الفكرة البابلية عن الأمراض والقول بأن مصدَرَها الأرواح الشريرة التي كانت تُصَوَر ككائنات على هيئة ريح أو عاصفة، وكان بوسع أي شخص من عامة الشعب تقديم شكوى إلى المحكمة ضد العفاريت مُلتمِساً العون من الإله "أوتو" إله الشمس لينصره على العفاريت) . إقتباس.

وربما من هنا أيضاً جاءت فكرة محاكمة السحرة في القرون الوسطى في أوروبا من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية.

كذلك نرى أن عملية "التخويف والترهيب" دينياً ليست من مُبتكرات الأديان التوحيدية كما قد يظن البعض، بل كانت تُمارَس في المجتمع البابلي القديم، كذلك كان الكهنة في "بابل" قد زرعوا في أذهان عامة الناس بأن الخطيئة هي السبب الأول لدخول العفاريت والجن إلى داخل جسم الإنسان، ومن أشهر الخطايا يومذاك "إهمال الطقوس الدينية والسرقة والقتل"، وهي نفس الكبائر تقريباً في خطايا اليوم، كذلك كانت هناك فكرة ترهيبية تقول: ((إذا أذنَبَ الإنسان .. تخلى عنه إلهه الحارس)) ، فيصير جسده مفتوحاً للعفاريت التي ستُهاجمه على صورة أمراض خبيثة وكوابيس أو من خلال الجنون والعاهات النفسية والجسدية.

وفي الديانة المانوية (ديانة قديمة ظهرت بعد الزرادشتية في إيران - القرن الثالث ق.م لمؤسسها ماني) كان يُعتقد بمبدأين (الخير والشر أو النور والظلام)، وسُميَ الشيطان ب (أمير الظلام).

كذلك قالت الديانة الفارسية المزدكية بثنوية الخير والشر. وفي الديانة البوذية كان "مارا" يمثل الشر من خلال الشهوة والموت وهما الخصمين التوأمين للنرفانا.

أما في مصر القديمة فكان الإله "سيت" رمزاً للقوى السالبة في الحياة والكون، كذلك أصبح الإله "حورس" رمزاً للقوى الموجبة، وهذان الإلهان كانا نتيجة لأفكار وقناعات المصريين في أن الكون يحمل قوتين متضادتين ومتعاونتين في ذات الوقت من خلال ثنائية النور والظلام والنظام والفوضى، ورأوا في جميع الظواهر الحياتية نتاجاً لتداخل هاتين القوتين "التوأم" وفعلهما المُشترك.

زرادشت
628 ق . م – 551 ق .م

• بداية الملامح الرئيسية للشيطان في الديانة الزرادشتية :

يقول الكاتب فراس السواح في واحدة من مقالاته: (لم تكتمل ملامح الشيطان الكوني في تأريخ الديانات الإنسانية إلا مع الديانة الزرادشتية التي أسسها النبي زرادشت في زمن غير مؤكد من النصف الأول للألف الأول قبل الميلاد) إنتهى.

وهذا ما يقوله غالبية العلماء والباحثين الذين يعتقدون بأن جذور فكرة الشيطان بدأت مع بداية الدين الزرادشتي في إيران. (حيث يُعتبر زرادشت واحداً من أهم الشخصيات الدينية التي أثرت على مجرى الحياة الروحية عبر تأريخ الحضارة، ولا تكمن أهمية هذا النبي في مدى الإنتشار الجغرافي والزماني للديانة الزرادشتية التي قامت على وحيه وتعاليمه، بقدر ما تكمن في مدى تأثير أفكاره على الديانات العالمية اللاحقة ومنها الديانات التوحيدية.

ورغم وجود الكائنات الما ورائية الشريرة في جميع المُعتقدات الدينية عبر التأريخ، إلا أن زرادشت كان أول من تصور وجود مبدأ كوني للشر، هو عِلَة الفساد والنموذج البدئي لكل الشرور المتبدية في العالم، وجَسَدَ هذا المبدأ في شخصية ما ورائية هي الشيطان). كِتاب

الرحمن والشيطان - فراس السواح.

وفي مقطع آخر من نفس الكِتاب يقول المؤلف: (ان فكرة الشيطان كمبدأ شمولي بدأت بشكلها الجنيني في الديانة المصرية القديمة ولكن من دون أن تصل بها إلى غايتها وتضعها في إطار آيدولوجي متسق ومتكامل. لكن الفكرة الكاملة ظهرت فيما بعد في تعاليم زرادشت ودخلت في صميم مُعتقدات أديان مُختلفة يَدين بها اليوم أكثر من نصف سكان العالم. ومن أسباب ظهور فكرة الشيطان كذلك، هو تحول مفهوم الأخلاق من الشأن الدنيوي إلى الشأن الديني). إنتهى.

وحول مفهوم الأخلاق هذا يقول فراس السواح في مقال آخر له: (الأخلاق الإجتماعية أو السلوك الأخلاقي الفردي في الحضارات القديمة لم يكن شأناً دينياً، بل شأن إجتماعي ناجم عن جدلية الحياة الإجتماعية ومتطلبات العيش المُشترك). إنتهى.

تقول كتب الزرادشتيين أن الرب الأعلى قال لزرادشت بأن الروح الخيرة هي "أهورامزدا" الإله العاقل، والروح الشريرة هي "أهريمان" الشيطان. وبهذا أصبحت البشرية في صراع دائم بين الخير والشر، النور والظلمة، وبما أنَ النور مصدره الشمس، والشمس من نار، لهذا لعبت النار دوراً أساسياً في هذه العقيدة الدينية بإعتبارها مصدر الإشراق والنور والضياء والحياة، فقدسوها وعبدوها وصار لهم كِتاب مُقدس يُسمى"الأفستا" أي: المعرفة. كذلك قالوا بأن الأرض هي ساحة قِتال بين الخير والشر وأن كل بشر يجب أن ينحاز لهذه الجهة أو للأخرى، وبعد الموت يذهب البشر الصالحين إلى الجنة والبشر الأشرار إلى الجحيم البارد المُظلم، لأن الزرادشتية تعتقد بأن النار عنصر إلهي ومُقدس، ولهذا فالجحيم في معتقداتهم بارد ومُظلم ومُخيف وليس حاراً ومُلتهباً ومُحرقاً كما تخيلتهُ بقية الأديان وخاصةً التوحيدية!.. وهي نفس فكرة السومريين والبابليين عن العالم السفلي أو عالم اللاعودة المظلم البارد والمُخيف.

بعد السبي البابلي الثاني ليهود أورشليم بفترة زمنية قصيرة إنتهت إمبراطورية الكلدان في "بابل" على يد قورش الأخميني سنة (539 ق.م)، ومن بابل بالذات أعلن الملك قورش قراره الشهير الذي يتضمن السماح للشعوب المسبية بالعودة إلى أوطانها الأصلية، ولكن .. وحسب رأي وقناعة علماء التأريخ، فإن هذه العودة لم تحدث خلال ليلة وضحاها، بل إستغرقت أكثر من 100 سنة، وهذه فترة زمنية كافية جداً لإحتكاك المسبيين اليهود بالفرس والإطلاع الكافي على أفكارهم بصورة عامة، وخاصةً تلك المتعلقة بالديانة "الزرادشتية"، كما تأثروا من قبلِ بكل أفكار وديانات وآلهة وأساطير سومر وبابل مما دعاهم لإقتباس أسفار توراتهم الخمسة الأولى زائداً تلمودهم من عمق حضارة سومر بابل وآشور.

ميراثُ الليالي الباردة ..

هاني عويد. مصر

الطريق الذي يمرُّ مِن أمامي..
أبديةٌ مؤقتة،
والرجال الذين يعبرون إلى حقولهم المتآكلة
كلَّ يوم
تغيّر كلُّ شيءٍ حولَهم،
حتى الموتُ..
صارَ أسرع مِنهم إلى حصادِهم،
لا تقترب الميديا منهم،
لا يعرف حدَّ آلامهم أحد،
الليل في أيديهم مفكرةٌ لا تتجاوز الفجر
ربمَا ابتعدت أحلامهم عن الأرض، ولم ترسُ
بعد.
أنا الشاعر..
في عيني أمنية كبرى،
وفي الأخرى حنينٌ غامرٌ، وغامض.
أعرفُ خريطةَ التعاريجِ وهي ترتسم في وجه
العابرين،
أعرف كيف يكون الليل
في مخيلةِ المحتاجين والعاشقين،
والهامش الذي استغنى بروَّادهِ الأوفياء،
والغربةِ،
وأحلام العذارى،
والنساء اللواتي فقدنَ أزواجهنَ في الليالي
الباردة.

لا تلوميني..
لأني خرجتُ الصبحَ يائساً
أغنّي في سرِّي..
تاركًا في غرفتي أصدقائي القدامى،
وحديثًا لَمْ ينتهِ..
عَن شعوبٍ تحتَ نصل العبودية،
وربيعًا لم يُدرَك في فصول العام،
وموسيقى لَم تتوافق مع زمني،
ومجانين انتحروا،
وتاريخًا لَم ينهض من فخ الجهل،
وكتبًا أكثر بؤسًا من شطحات القرون
الوسطى.
أردتُ ياحبيبتي..
أن تعيشي كمَا تشائين آمنةً فيَّ.
أن تُفكِّري
تَستعيدي شعلتك..،
وأن لا يكون للغيابِ مشيئة أخرى
غير النهايات العادية.

منذ أكثر من خمسين عاماً مضت، أبدع الاستاذ الكبير «حسن الكرمي» في برنامج إذاعي كانت تبثه إذاعة لندن آنذاك بعنوان « قول على قول» .. كنا صغاراً نتعلم أبجدية المعرفة ونحن ندمن الاستماع إلي هذا البرنامج القيم بمادته الرائعة حد الذهول .
والآن، يسعدنا أن نواصل تقديم فقرات من هذا البرنامج بعد أن تكرم صاحبه وجمع مادته الاذاعية في مجلدات عددها 12 مجلد .. أصبح كتاباً بدأنا مع ثروته النفيسة من أعوام في مجلة الليبي ، وها نحن نواصل متعة المعرفة مصحوبة هذه المرة بمقدمة ثابتة تجيب على أسئلة الكثيرين بخصوص سبب اختيارنا لسبيكة ذهب اسمها «قول على قول» .

● **السؤال** : من القائل :

لا تُخفِ ما صنعتْ بك الأشواقُ واشرح هواك فكلنـــا عُشّاقُ
فَعسَى يُعينُكمن شكوتَ له الهوى في حَمْلِه فالعاشقون رفـــاق

بوبيه محيي الدين – الفقيه بن صالح
المغرب
صالح عبد الله بوشي
دار السلام – تنغانيكا

★

الشاب الظريف

● **الجواب** : هذان البيتان للشاب الظريف من قصيدةٍ مشهورة صوّر فيها الشاعرُ ما يَجِد العاشِقُ من الهجر وما يصنع في ذلك .

والشابُّ الظريف هو محمد بن سليمان التَّلِمْساني ، وُلِد في القاهرة سنة ٦٦١ هجرية ، وتوفي في دمشق ، ولم يكن له من العمر إلا ست وعشرون سنة.

قبل أن نفترق..

قال أحدهم يحدث عجوزاً آخر بصوتٍ خافت في حديثٍ بدا أنه كان استطراداً :

ـ منذ عام .. منذ عام لم يتصل، نسى على ما يبدو أنني أبوه .

طفح وجه العجوز المنصت، شبه ابتسامة ربما حاول أن يخفف بها من مرارة عقوق ابن رفيقه، لكنه تأوه في حسرة، قال :

ـ دعه وشأنه، إنني منذ توفيت أم الأولاد انصرفت إلى شأني، لم أعد أعير اهتماماً لأحد، من شاء أن يجيء فليجيء، ومن شاء أن يختفي فليختفي، للكعبة رب يحميها .

أيام زمان

حفريات أول بعثة أثرية فرنسية في مدينة سوسة في برقة شرق ليبيا، بتاريخ مارس 1954 برئاسة عالم الآثار الفرنسي «بيير مونتيه».

(المصدر: د. خالد الهدار)

وطن الثقافة

وثقافة الوطن

مجلة الليبي